مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان ، السنة التاسعة ، العدد 84 ، شعبان 1415هـ / يناير 1995م

كلمة صغيرة
دفاع عجيب

قدم رئيس الرابطة المارونية في بيروت استدعاءات للمسؤولين مطالباً باتخاذ الإجراءات القانونية الصارمة ضد ماذا ؟ .

ضد صحيفة تعرضت بالتطاول برسم كاريكاتوري لـ (الكاردينال : صفير) وهو مرجع ديني نصراني قائلاً : بأن ذلك يمس في العمق مشاعر النصارى بل والمسلمين وكرامتهم .. هكذا قال .

قلت : كم مرة انتهكت حرمة علماء الإسلام ودعاته بالصوت والرسم والمقال ، كم مرة ادعي على علماء الإسلام بحبك المؤامرات ضد الدول ومحاولة إسقاطها وهم لا يملكون سوى الكلمة والكلمة فقط .

كم مرة اعتقلوا وحوكموا محاكمات صورية ثم أعدموا ؟!

مَنْ غار على علمائنا واستنكر ما يحاك ضدهم ليل نهار ، إلى متى يغار أهل الأديان الأخرى على علمائهم ومراجعهم ، بينما جل وسائل الإعلام تشن حرباً ضارية على العلماء والدعاة المسلمين بدعاوى ساذجة مكرورة .

ولا نقول سوى : حسبنا الله ونعم الوكيل ..

الافتتاحية
صناعة الإعلام الغربي

تطورت صناعة الإعلام في العقود الأخيرة تطوراً مذهلاً ، فالخبر ينتقل من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب خلال دقائق معدودات ، بل بدأت القنوات الفضائية ووكالات الأنباء العالمية تتنافس في تغطية الأحداث على الهواء مباشرة ، حتى ظهر اصطلاح القرية الكونية تعبيراً عن سرعة وسهولة انتقال الخبر ، وصاحب ذلك تنافس وكالات الأنباء على الدقة في النقل والمصداقية في عرض الأخبار ، ممّا جعل كثيراً من الناس يتهافتون على تلقي الأخبار باطمئنان تام وتصديق كامل ، وبخاصة في دول جل العالم الإسلامي التي اعتاد الناس فيها على الكذب الرسمي والتزوير المتعمد والتلفيق المكشوف ، من إعلام استهلاكي لا يُجيد إلا الإشادة والتطبيل لمنجزات الزعيم الملهم وإبداعاته المتجددة ، حتى وإن لم تر إلا الإنجازات الورقية .. !!

ولكن هل الإعلام الغربي ووكالات الأنباء العالمية تلتزم الدقة وتحرص على مصداقيتها حقاً .. ؟ !

وللإجابة على هذا السؤال لابد من إدراك الخلفيتين التاليتين :

الأولى : أنّ أكبر وكالات الأنباء والقنوات الفضائية تسيطر عليها الإدارة اليهودية ، التي لا تخفي ولاءها لإسرائيل والمنظمات الصهيونية

الثانية : أنّ هذه الوكالات وجل القنوات الفضائية مخترقة من وكالات الاستخبارات الغربية ، ومن ثم فهي تتحرك وفق استراتيجية استخبارية مدروسة .

وبناء على هاتين الخلفيتين العقدية والسياسية فإنّ النزاهة والدقة والحيادية التي تزعم القنوات الإخبارية الحرص عليها تتلاشى تماماً حينما يكون التحقيق

الإخباري متعلقاً بالشعوب الإسلامية بعامة وبالصحوة الإسلامية بخاصة ، وحينها تنكشف الأقنعة ، وتظهر الصورة الكالحة على وجه المعلق وتندفع الكلمات الاستفزازية المتشنجة مسيطرة على تحليل المواقف السياسية فالشعوب الإسلامية لا تستحق البقاء وليس لها حق العيش كريمة وليس لها الحق في خياراتها أسوة بغيرها من الشعوب ، والحركات الإسلامية حركات متزمتة ظلامية أصولية لا تحيا إلا بالدم والتدمير والإرهاب ، فيجب مقاومتها ووأدها وكبتها ، وأما الأنظمة الدكتاتورية القمعية فهي أنظمة وديعة مناضلة متحضرة محبة للسلام ، حتى بدت نهاية هذا القرن في نظر الرأي العام الغربي على أنها حقبة التهديد الإسلامي .. [1] ! !

وبعد سقوط الماركسية والدول التي دارت في فلكها سيطرت فكرة التهديد الإسلامي على عقول الساسة والإعلاميين الغربيين ، حتى أصبحت قاعدة رئيسة تنطلق منها التعليقات الإخبارية والقرارات الدولية ، لقد عقد الكونجرس الأمريكي في 26 مايو 1994 ندوة بعنوان : الإسلام المنبعث من الشرق الأوسط شارك فيها : السفير روبرت باللترو مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأدنى ، والكاتب دانيل بابيس ، والكاتب جون اسبزيتو [2] ، وقد قال الكاتب بابيس في هذه الندوة :

إنّه لا يوجد أصولي يريد أن يعيش بهدوء ، إن الأصوليين يصرون على نقطتين : تطبيق الشريعة الإسلامية في كل البلاد الإسلامية ، وتوسيع حكم المسلمين . وكلا الهدفين يحتويان على كفاح عدواني متأصل ، وهم قد يظهرون نوعاً من المرونة ، ولكنهم لا يتركون هذين الهدفين .. ثم يقترح على الحكومة الأمريكية الاقتراحات التالية :

أولاً : دعم الحكومات والجماعات التي تحارب الأصولية .

ثانياً : على الغرب أن يضغط على الدول الأصولية ، في السودان وإيران وأفغانستان ، حتى تخفف من عدوانيتها .

ثالثاً : دعم الأشخاص والمؤسسات التي تعارض الأصولية [3] .

ويفضح هذا الكلام عمق القلق الأمريكي بخاصة من تنامي الصحوة الإسلامية .. !

لقد أصبح الإعلام الغربي والأمريكي على الخصوص بإمكاناته المدهشة أداة رئيسة في صنع وتشكيل الرأي العام المحلي والعالمي ، ونجح الغرب في توظيفه وجعله وسيلة لتعمية الشعوب الإسلامية ، والاستحواذ على العقول والأبصار ، وصرفها عن الحقيقة وساعد على ذلك ما يلي :

* الفشل الإعلامي الذريع الذي تمارسه أكثر الدول المحسوبة على الإسلام وقيامها بسياسات إعلامية معادية للإسلام ، ورفعها لشعار تجفيف المنابع حيث شوهت المنابع تبعاً لسياسات التطبيع والتغريب .

* إن الإعلام العربي في الغالب مستهلك لأسوأ ما أنتجه الإعلام الغربي على كل الأصعدة من إذاعة وصحافة ، وحتى ما يعرض للأطفال من (الصور المتحركة) يصاغ صياغة تحاكي النمط الغربي بل هي نسخة مترجمة منه .

* إن الجهود الجديدة في الإعلام الخاص تجارية بحتة تعمل جهدها للهو والتسلية ولإغراء المُشاهِد بالفاتنات والبرامج الساقطة وقل أن تجد فيها النافع المفيد.

كنا نود لو أن تلك الجهود قامت بشيء من واجبها لمواجهة الإعلام الأجنبي ومحاولة ترشيد الفهم الخاطئ عن الإسلام وأهله ، فقد آن لنا أن ندرك أنّ الإعلام الغربي إعلام عنصري استعماري ، وإنْ زعم الدقة والحيادية ومواقفه من أحداث العالم الإسلامي : كالبوسنة وفلسطين والشيشان وكشمير وبورما والفلبين أكبر شاهد على التشويش المقصود .

إن التأني والتثبت في تلقي الأخبار منهج أصيل دلّت عليه النصوص القرآنية، وتواترت فيه الأحاديث النبوية ، قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين [الحجرات : 6] فإذا كان التثبت من خبر الفاسق مأمور به شرعاً ، فخبر الكافر المظهر لعداوته من باب أولى .

---

(1) تجربة الإسلام السياسي (ص11) تأليف أوليفيه روا دار الساقي ، الطبعة الأولى 1994م .
(2) وهو مؤلف الكتاب الشهير التهديد الإسلامي خيال أم حقيقة The Islamic Treath Myth or Reality - J Esposito يعمل حالياً رئيساً لتحرير موسوعة إكسفورد للعالم الإسلامي الحديث ، وهو مستشار في وزارة الخارجية الأمريكية .
(3) أنظر مجلة : Middle East Policy 1994م .

في إشراقة آية

** ونبلوكم بالشر والخير فتنة **

د . عبد الكريم بكار

خلق الله جل وعلا الدنيا لتكون داراً للابتلاء والاختبار ، ومن ثم فإنه جعل الإنسان يتقلب فيها بين المنشط والمكره ، والرخاء والشدة ، والخير والشر ، ليرى سبحانه كيف يصنع هؤلاء العباد ، وكيف يطلبون مراضيه في جميع الأحوال ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة [الأنبياء : من الآية35] .

ولعلنا نقبس من نور هذه الآية المباركة في الوقفات التالية :

1- الناظر في النُظُم العامة التي تحكم مسيرة الحياة يجد أن جوهر **(**الابتلاء) يقوم على (التشتيت بين المتقابلات) حيث يؤدي عدم القيام بحق الحالة الراهنة أو ما سماه القدماء بأدب الوقت إلى الإخفاق في الامتحان الذي يعني تحول الخير إلى شر أو ارتفاع وتيرة الشر والتدهور ، ولعلنا نميط اللثام عن هذا المعنى من خلال نموذجين اثنين :

(أ) يسعى كل مجتمع إلى إيجاد أكبر قدر ممكن من التماثل بين أفراده بنية المحافظة على قيمه وخصوصياته وزخمه الحركي ، وهذا التماثل من الخير ولا ريب لأن البديل عنه هو الشقاق والاحتراب الداخلي لكن التجربة الاجتماعية أثبتت أن الحرص على التماثل التام بين أفراد المجتمع يؤدي إلى انقسامه على نفسه ، حيث يتشوف أعضاؤه ولاسيما الصفوة منهم إلى النفاذ إلى واقع المجتمع على نحوٍ منفرد ومنعهم من ذلك يؤدي إلى التوتر الاجتماعي ، ويجعل (التماهي) الظاهر عبارة عن شكل فارغ من المضمون ، فينتشر النفاق الاجتماعي والازدواجية في السلوك ، ومن ثم فإن المطلوب هو قدر من التنوع الاجتماعي واحترام الخصوصيات في إطار النظم الكبرى للمجتمع وفي إطار أهدافه ومبادئه العامة .

(ب) حث الإسلام على صلة الرحم وأداء حقوق القرابة ، ورتب في ذلك أحكاماً وآداباً عديدة ، والالتزام بها ورعايتها من الخير العظيم ، لكن ذلك لابد أن يوقف عند حدود رعاية مسائل أخرى لا تقل أهمية وحيوية من مثل احترام النظم التي تتولى توزيع وترتيب الحقوق والواجبات في المجتمع ، حيث لا يصح لعامل القرابة أن يمس العدالة الاجتماعية أو يضغط عليها ، الملحوظ أن ما تسمى بـ (سيادة القانون) لم تأخذ أبعادها بشكل جيد في العصور الحديثة إلا حيث اضمحلت العلاقات الأسرية والقرابية كما هو الشأن في المجتمعات الغربية أما في المجتمعات الإسلامية حيث التواصل الأسري والعائلي أمتن وأفضل ، فإن من الملحوظ أنه يتم الكثير من التجاوز والتفلت من النظم العامة في سبيل إعطاء الأقرباء ما ليس لهم

من مكتسبات ظناً أن في ذلك صلة للرحم ! لكن هذا يعني عدم النجاح في الابتلاء والتشتت بين المتقابلات ، إن إكرام الأقرباء لا ينبغي أن يتم على حساب الآخرين ولا بخرق النظام العام ، وإلا كان شراً وبلاءً .

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن من أشد ما عاناه التمدن الإسلامي في تاريخنا الطويل كان نقل العرب من مرحلة (القبيلة) إلى مرحلة (الدولة) حيث يتم الفصل شبه الكامل بين العلاقات والحقوق الشخصية وغير الشخصية ، ونجد إلى جانب هذا في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وسلوك أصحابه الكرام موازنة دقيقة في هذا الشأن ، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- هو الذي قال : يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت فإني لا أغني عنك من الله شيئاً [1] وهو الذي قال : .... لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها [2] .

2- النجاح في الابتلاء يقتضي نوعاً من اليقظة لجميع قوانا العقلية والروحية، حتى لا نقع في أسر اللحظة الحاضرة ونستسلم لخيرها وشرها رضائها وكربها ، وهذا يعني نوعاً من الاستعلاء على الواقع وعدم الركون إليه ، والذوبان فيه ، وذلك إنما يقع عند الغفلة عن (نواة) الابتلاء الكامنة فيه ، على نحو ما حدث من غفلة الرماة يوم أحد عن نواة الابتلاء في أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- لهم بالبقاء في مواقعهم مهما كان اتجاه المعركة ، فأدى ذلك إلى تحويل النصر الذي كان يلوح في مستهل المعركة إلى هزيمة ! لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يدع المسلمين يستسلمون لمرارة الهزيمة ، ويغرقون في التلاوم والندم ، وإنما اندفع بهم إلى ساحة ابتلاء جديد بأمره لهم بالتوجه إلى حمراء الأسد حيث تحولت مشاعر الفرّ والانكسار إلى مشاعر المبادأة والمطاردة للعدو ! [3] .

ولعل مما يعصم عن الغرق في الحالة الراهنة تعود الاستبصار وتقليب النظر في الحالة الراهنة خيرها وشرها ، ومحاولة فهم المنطقية والآلية التي أدت إلى ولادتها وتجسدها ، وإذا ما تم ذلك أمكن أن نسيطر على تلك الحالة ، ونتصرف إلى اتجاهات سيرها وتطورها ، فإذا كان الابتلاء عبارة عن خير أي خير أصابه المؤمن ثمرة لجهده وكفاحه وجب عليه أن يستمر في ذلك الجهد على نفس الوتيرة التي كان عليها ، وإذا كان قد أصابه من غير تعب كمن ورث مالاً وفْراً وجب عليه أن يشكر الله على ذلك أولاً ، وأن يقوم ثانياً ببحث الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى المحافظة عليه وتنميته وتزكيته ، حتى لا يشعر يوماً ما أن النعمة التي هبطت عليه لم يكن يستحقها ! .

وإذا كان ما أصاب المؤمن من شر ومحنة بسبب أخطائه وخطاياه ، فإن النجاح في مواجهة ذلك الابتلاء لا يكون إلا بالخلاص مما اقترفت يداه ، وبذلك يستحق تغيير الله تعالى له كما قال سبحانه : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد : 11] .

وإذا كان ما أصابه بسبب ما جناه غيره فإن عليه أن يصبر ، ويحاول أن يتجاوز ما هو فيه من بلاء يتحوله من (صالح) إلى (مصلح) لأن البلاء حين يعم بسبب انتشار الفساد لا يتأهل للنجاة منه إلا الذين يسعون إلى تحجيمه وتطهير المجتمع منه ، كما قال سبحانه : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ [الأعراف : 165] ، ولابد للتوطئة لكل ذلك من سيادة روح المفاتحة والمكاشفة والنقد المنصف البناء حتى لا تندغم الذات في الموضوع ، ونصبح كمن كان يدفع العجلة إلى أن أصبح يجري وراءها مستسلماً لقوة اندفاعها .

3- إن مبدأ (الزوجية) ملحوظ في الكثير الكثير من المخلوقات والموجودات ، وهذا المبدأ كما أنه سبب في تكاثر الكائن الحي ونمو النوع كذلك هو سبب في

تحول حالات الرخاء والشدة ، ففي رحم كل رخاء (نواة) لمحنة ، كما أن في أحشاء كل شدة نواة لرخاء ومنحة وهذا واضح في قوله جل وعلا : ﴿ فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا ﴾ (الشرح : 5 ، 6) إن فهم هذه المسألة يقتضي منا أن نضع الحالة الراهنة التي نعيشها في السياق التاريخي والسببي ، حتى يتبين لنا أنها ليست أكثر من حلقة في سلسلة غير متجانسة من النجود والوهاد والنجاحات والإخفاقات .

إن هذه الدنيا ليست هي الظرف المناسب لتموضع (الأحوال النهائية) في خير أو شر ، وإنما هناك دائماً خلف الباب محنة تنتظر إذا ما نحن أسأنا التصرف بالإمكانات التي بين أيدينا ، وفي المقابل فإن الشدائد والمحن تفجّر روح المقاومة والإصرار والعناد ، تلك الروح التي كثيراً ما تظل هاجعة خامدة إلى أن تأتيها صدمة قوية توقظها من سباتها ، وهكذا فالمطلوب دائماً أن نكون في الموقع الصحيح لمواجهة الابتلاء .

إن طبيعة الابتلاء تقوم على قاعدة من التوازنات العميقة والدقيقة ، والإنسان المبتلى يشبه في كثير من الأحيان الذي يسير على حبل مشدود فهو يطالب حتى لا يقع بأن يستنفذ كل قواه العقلية والجسمية على نحو دقيق ومتوازن وإلا ...

4- تمتلك أمة الإسلام بحمد الله عدداً من المنظومات المعيارية والرمزية التي تمكنها من اختراق الحالة التي تعايشها ومعرفة أوجه الابتلاء فيها ، بل وتمكن الصفوة الممتازة من أبنائها من معرفة نسب الخير والشر وحجم الإيجابيات والسلبيات في الواقع المعاش ، وهذه المعرفة تنظم أيضاً ردود أفعالنا على الطوارئ والوافدات الجديدة رفضاً ومدافعة وتعديلاً وتهذيباً وقبولاً وترحيباً ، وهذا يعني أن كل ابتلاء جديد لا يدخل في حياة الأمة (الحية) إلا بعد أن يمر بمصفاة قيمها ومبادئها و (عقيدتها الاجتماعية) [4] أيضاً ، وكلما كان وقع الابتلاء الجديد حاداً ومكشوفاً استطاع أن يستفز ردود أفعال الأمة عليه بصورة قوية وسريعة ، فظاهرة الردة الأولى كانت ابتلاء كبيراً جداً واجهته دولة الخلافة الوليدة في زمان أبي بكر رضي الله عنه بالقوة والسرعة المكافئة ، لكن الابتلاء (المتدرج) الذي حصل بعد ذلك في صورة فرق وعقائد فاسدة وانحرافات سلوكية وفي صورة تجديد أطر الدولة وفق اتساع أمة الإسلام لم يستوفز الطاقات الكامنة في الأمة ، فلم تقم بواجبها تجاهه ، ولعل هذا يدفعنا إلى القول : إن أخطر ما يغيب الإحساس بالابتلاء على مستوى الفرد والجماعة معاً ليس الكوارث الكبرى ولا الجوائح العظيمة وإنما (التغيرات البطيئة) التي تدخل من أضيق المسام ، فتتكيف الأمة معها سلبياً على سبيل التدرج، وهذا ما حصل بالنسبة لأمة الإسلام وما حدث لدول عظمى في عصرنا الحديث ، فقد بدأت بريطانيا العظمى تتراجع عن مركزها العالمي ، وبدأت الشيخوخة تدب في أوصالها منذ أكثر من قرن لكن ذلك لم يظهر إلا في الحرب العالمية الثانية .

ومن الطريف أن بعض علماء (الأحياء) جاءوا بضفدع ، ووضعوه في إناء وأوقدوا تحته ناراً هادئة ، فصارت درجة حرارة الماء ترتفع بمنتهى البطء ، وكان المأمول أن يقفز الضفدع عندما يحسّ بسخونة الماء لكن حدوث التسخين على نحو بطيء أدى إلى أن يتحول (المحرّض) إلى (مخدّر) وكانت النتيجة أن الضفدع انسلق دون أن يبدي أية مقاومة !

وهنا تبرز مهمة العلماء الربانيين العظام والمفكرين المبدعين الذين يمتلكون حاسة (الاستشعار عن بعد) حيث يرون عواقب الأمور قبل فوات الآوان ، ويقومون بما تستحقه من مواجهة وعمل ، وفي هذا يقول سفيان الثوري رحمه الله : الفتنة إذا أدبرت عرفها كل الناس ، وإذا أقبلت لم يعرفها إلا العالم .

وحتى ننجح في مواجهة الابتلاء (التغيرات البطيئة) فإن علينا أن نقوم بأمرين:

أ- الانشداد إلى الأصول والثوابت في المنشط والمكره والتأبي على انصهار

منهجيتنا وحاستنا النقدية في المعطيات الجديدة مع محاولة استيعاب تأثير المستجدات على تلك الأصول ومحاولة إيجاد التكييفات والتوظيفات التي ترسخها ، وتجعلها تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

ب- المتابعة الجادة والدقيقة لمجمل التغيرات التي تطرأ على حياتنا لا من خلال الحدس والتخمين والملاحظة العامة ، وإنما من خلال (الرقم) والأساليب الكمية ، حتى نتعرف بدقة على سيرورة أحوالنا المختلفة والمآلات الصائرة إليها ، وهذا لن يتم إلا من خلال إعادة تنظيم حياتنا ومؤسساتنا المختلفة على أسس جديدة بحيث تخصص كل جهة أو مؤسسة قسماً أو موظفاً يتولى جمع المعلومات الخاصة بها ونشرها حتى ينمو إحساس الناس ب (الكم) وطريقة قياسه ، وليس من المستفز اليوم ذلك التلازم التام والمطلق بين درجة تحضر الدولة ودرجة تقدم الإحصاء فيها .

إن على المسلم أن يظل يكافح ويجاهد في سبيل التعرف على مراضي الله تعالى في كل حالة من أحواله ، ويستشرف بعد ذلك عاقبة المتقين .

---

(1)أخرجه البخاري .
(2) أخرجه البخاري .
(3) انظر الرحيق المختوم : 318 .
(4) العقيدة الاجتماعية عبارة عن جماع المبادئ والمصالح ومركز التوازن بينهما .

دراسات تربوية قرآنية

﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل .. ﴾ (2)

عبد العزيز بن ناصر الجليل

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ..

في الحلقة الأولى تطرق الكاتب لبيان منطلق هذه الوقفات من قوله تعالى : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ وأهمية الموضوع وبيان معنى اللبس والتلبيس ويواصل الكاتب المزيد من الإيضاح حول تلك القضية .

-البيان-

إن الانحراف عن الحق والوقوع في الخطأ لا تعدوا أسبابه الفتن التالية :

1- فتنة الشبهات .

2- فتنة الشهوات .

3- فتنة الجمع بين الشبهة والشهوة لبس الحق بالباطل وكل انحراف أو ضلال أو خطأ سواء أكان صغيراً أو كبيراً لا يخرج في دوافعه عن الأسباب الثلاثة السابقة :

فإذا وقع العبد في مخالفة شرعية ، فإما أن يكون السبب في هذه المخالفة هو الجهل بها وعدم العلم بحرمتها ، أو اشتبه الأمر عليه فحسبها مكروهة فقط ، فهذا الخطأ سبب الشبهة الناتجة من قلة العلم وضعف البصيرة .

وأما إذا كان لدى من وقع في المخالفة علم وبصيرة في دين الله بأنها محرمة ومخالفة للشرع ومع ذلك وقع فيها عمداً ، فإن الدافع لهذه المخالفة إنما هو الشهوة ، وضعف النفس ، ومثل هذا يقر ويعترف بمخالفته ومجانبته للصواب كما يعترف بذنبه وتقصيره .

أما إذا وقع في المخالفة عن شهوة وضعف ثم لم يعترف بذنبه وتقصيره ، وإنما راح يبحث عن شبهة شرعية أو تفسير خاطئ أو تأويل متعسف للأدلة ليبرر

بها خطأه ويبرر بها ضعفه وشهوته مع علمه بخطأ تصرفه هذا في قرارة نفسه فهذا هو الهوى وهذه هي المغالطة وهذا هو لبس الحق بالباطل ، وهو أشنع أنواع الانحراف لأنه مكر وتحايل على شرع الله وخداع للناس .

إن أشد وأشر هذه الفتن من جمع بين الشبهة والشهوة وتحايل على شرع الله بأن غطى مخالفته وانحرافه بشبهة شرعية ، وهو يعلم أنه متحايل ومخادع ، ومثل هؤلاء الملبسين عقوبتهم عند الله عز وجل أشد من الذين يقعون في المخالفات الشرعية ولكنهم يعترفون بتقصيرهم وذنوبهم ، ولا يكابرون ، ولا يبررون ولهذا حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته من ارتكاب الحيل فقال ولا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل [1] .

وهذه هي حقيقة لبس الحق بالباطل وحقيقة المغالطة ، إذ أن الدافع الحقيقي للانحراف هو الهوى والشهوة وحب الدنيا ، ولكن عوضاً عن أن يعترف بضعفه هذا وشهوته ، ويعترف بذنوبه في مخالفته للشريعة فإنه يستدل لشهوته هذه بشبهة شرعية يعلم هو في قرارة نفسه أنها لا تصلح للاستدلال ، لكن لابد من غطاء يغطى به هذا الضعف والهوى ، وإذا ذهبنا لنتعرف على وسائل التلبيس والطرق التي ينطلق منها الملبس في أغلوطاته نجدها لا تخرج في الغالب عن الأمور التالية :

1- التأويل الفاسد واتباع المتشابه .
2- كتمان الحق وإخفاؤه .
3- تحريف الأدلة عن مواضعها ، وعدم إنزالها في مناطاتها ، وتفصيل ذلك فيما يلي :

1- التأويل واتباع المتشابه :

التأويل الفاسد الذي لم يدل عليه دليل يصرفه عن المعنى الظاهر الذي هو أشبه بتحريف الكلم ، والغالب أن الذي يدفع إليه هو الجهل والهوى وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو التأويل الذي لم يرده الله رسوله بكلامه ولا دل عليه أنه مراده ، وهل اختلفت الأمم على أنبيائها إلا بالتأويل ، وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل ؟ فمن بابه دخل إليها ، وهل أريقت دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل ؟ [2] .

وعند قول الله عز وجل في اليهود : ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ [آل عمران : 78] يقول سيد قطب رحمه الله تعالى عن هذه الآية : وآفة رجال الدين حين يفسدون أن يصبحوا أداة طيعة لتزييف الحقائق باسم أنهم رجال الدين وهذه الحال التي يذكرها القرآن عن هذا الفريق من أهل الكتاب نعرفها نحن جيداً في زماننا هذا فهم كانوا يؤولون نصوص كتابهم ، ويلوونها لياً ، ليصلوا منها إلى مقررات معينة ، يزعمون أنها مدلول هذه النصوص ، وأنها تمثل ما أراده الله منها ، بينما هذه المقررات تصادم حقيقة دين الله في أساسها ، معتمدين على أن كثرة السامعين لا تستطيع التفرقة بين حقيقة الدين ومدلولات هذه النصوص الحقيقية ، وبين تلك المقررات المفتعلة المكذوبة التي يُلجئون إليها النصوص إلجاء [3] .

2- كتمان الحق وإخفاؤه :

وهو تحريف الأدلة عن مواضعها وتغطية الحق بالباطل ، وقد ورد في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- من النصوص المحذرة من كتمان الحق وإخفائه والمتوعده لفاعليه بالوعيد الشديد من ذلك : قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ [البقرة : 159] وقوله : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من

الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم [البقرة : 174] .

يقول الشيخ رشيد رضا في تفسيرها : هذه الآية جارية على الرؤساء الذين يحرمون على الناس ما لم يحرمه الله ، ويشرعون لهم ما لم يشرعه من حيث يكتمون ما شرعه بالتأويل أو الترك ، فيدخل فيه اليهود والنصارى ومن حذا حذوهم في شرع مالم يأذن به الله وإظهارخلافه سواء أكان ذلك في أمر العقائد ككتمان اليهود أوصاف النبي -صلى الله عليه وسلم- ، أو الأكل والتقشف وغير ذلك من الأحكام التي كانوا يكتمونها إذا كان لهم منفعة في ذلك ، كما قال تعالى : تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً [الانعام : 91] وفي حكمهم كل من يبدي بعض العلم ، ويكتم بعضه لمنفعة لا لإظهار الحق وتأييده [4] .

وبقيت كلمة أخيرة في موضوع كتمان الحق ، ألا وهي أن بعض الطيبين قد يقول : ألا يجوز كتمان العلم بل قد يجب أحياناً عند خوف الفتنة من الجهر به سواء أكان على النفس أو على الناس ؟ والجواب أن في ذلك تفصيل كما يلي :

بادئ ذي بدء فإن حديثنا ليس عن كتمان العلم وإنما هو عن كتمان الحق الذي يجب أن يقال ، وفي نظري والله أعلم أن بينهما اختلاف ، وذلك أن العلم أنواع فمنه ما هو واجب القول به وتعليمه الناس كفروض العين ونحوها ومنه ما هو مستحب ومنه ما يجوز قوله لأناس دون أناس حسب عقولهم وأفهاهم ، أما قول الحق الواجب فأرى أنه من العلم الواجب إيصاله للناس ، ولا يجوز كتمه لأن في كتمه مفسدة تنافي مقاصد الشرع أو بعضها ، وفي إخفائه فتنة للناس وليس العكس ، فإذا جاز كتمان العلم أو وجب في ضوء قواعد الشريعة المعتبرة فإنا والحالة هذه نقول : إن الحق في هذا هو كتمان العلم ، وإن الجهر بالعلم مع معرفتنا بالمفسدة المترتبة عليه هو الباطل والفتنة وهذا والله أعلم هو الذي عناه الشاطبي رحمه الله تعالى في الموافقات حيث قال : ومن هذا يعلم أنه ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره وإن كان من علم الشريعة ، ومما يفيد علماً بالأحكام بل ذلك ينقسم ، فمنه ما هو مطلوب النشر وهو غالب علم الشريعة ، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق ، أولا يطلب نشره بالنسبة إلى حال ، أو وقت أو شخص ، ومن ذلك تعيين هذه الفرق فإنه وإن كان حقاً فقد يثير فتنة كما تبين تقريره فيكون من تلك الجهة ممنوعاً بثه ، ومن ذلك علم المتشابهات والكلام فيها ، فإن الله ذم من اتبعها فإذا ذكرت وعرضت للكلام فيها فربما أدى ذلك إلى ما هو مستغنى عنه [5] .

3- تحريف الأدلة عن مواضعها :

وهذه الطريقة من طرق التلبيس هي ثمرة من ثمرات الطريقتين السابقتين ، إذ لابد لمحرف الأدلة من كتمان الحق ، ولابد لمتبع المتشابه من تأويل كلام الله سبحانه وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- من التأويل الفاسد الذي يؤدي إلى صرف الأدلة عن ما أراد الله بها وأراده رسوله -صلى الله عليه وسلم- ومن ثم وضعها في غير موضعها ، وهذا هو نوع من أنواع التحريف للأدلة عن مواضعها ، إذ لايلزم من التحريف أن يكون لفظياً كما فعلت اليهود في التوراة بل إن تحريف المعنى المراد إلى غير المراد هو تحريف للنصوص عن مواضعها أيضاً وهذا ما أشار إليه الشاطبي رحمه الله تعالى : وهو يستعرض مآخذ أهل البدع في الاستدلال: ومنها تحريف الأدلة عن مواضعها بأن يرد الدليل على مناط فيصرف عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهماً أن المناطين واحد ، وهو من خفيات تحريف الكلم عن مواضعه والعياذ بالله ، ويغلب على الظن أن من أقر بالإسلام وبأنه يذم تحريف الكلم عن مواضعه لا يلجأ إليه صراحاً ، إلا مع اشتباه يعرض له ، أو جهل يصده عن الحق مع هوى يعميه عن أخذ الدليل مأخذه ، فيكون بذلك السبب مبتدعاً وبيان ذلك

أن الدليل الشرعي إذا إقتضى أمراً في الجملة مما يتعلق بالعبادات مثلاً فأتى به المكلف في الجملة أيضاً ، كذكر الله والدعاء والنوافل المستحبات وما أشبهها مما يعلم من الشارع فيها التوسعة ، كان الدليل عاضداً لعلمه من جهتين : من جهة معناه ، ومن جهة عمل السلف الصالح به .

فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص أو مكان مخصوص أو مقارن لعبادة مخصوصة ، والتزم ذلك بحيث صار متخيلاً أن الكيفية أو الزمان أو المكان مقصود شرعاً من غير أن يدل الدليل عليه ، كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه [6] .

---

(1) تفسير بن كثير ، طبعة الشعب ج3 ص492 ، وجود ابن كثير إسناد هذا احديث .
(2) إعلام الموقعين 4/353 .
(3) في ظلال القرآن .
(4) تفسير المنار 2/101 .
(5) الموافقات ج4 ص109 .
(6) الاعتصام ج1 318 .

خواطر في الدعوة

أنماط التفكير
(2)

محمد العبدة

إن من هداية القرآن للمسلمين أن يصحح لهم طرق التفكير ، ويسددهم إلى الوسائل الصحيحة للفهم والتجديد ، حتى لا يسيروا في مهامه ثم ينكصون ، أو يغزلون غَزْلاً ثم ينقضون .

وجّه القرآن الطاقات الفكرية للمسلم كي يتعلم ويبحث فيما يفيده في دنياه وآخرته ، فلا يعوقه عن حركته أو يأسره عن انطلاقته أحداث جرت ومضت ، يقف عندها لا يحور ولا يكور ؛ ويستغرق فيها لتشغله عن واجبه في الحاضر وتطلعه إلى المستقبل ، ومن الطبيعي بل ربما يكون من الواجب الوقوف عندها لأخذ العبرة والتعلم من دروسها ، وشيء آخر لابد من ذكره وهو أن الكلام هنا ليس عن الماضي الذي تركه لنا علماؤنا من عصر السلف وحتى يومنا هذا من علوم شتّى ، وخاصة ما تعلق منها بشرح وفهم نصوص الوحيين ، فإن بعض الناس يتكلم بخبث ومكر ، ويدعو لترك الماضي من هذا الجانب ، وترك الأصول والمنهج ، أو تفسيره حسب أهوائه ، وإنما نتكلم عن أحداث معينة أو أشخاص معينين ، والتركيز عليهم دون الاشتغال بما ينفع في حاضر المسلمين .

عندما يقول قائل : ما بال علي ومعاوية رضي الله عنهما ، نقول كما ذكر عن بعض العلماء : تلك أحداث لم نشهدها ، وقد مضت ، ولا نخوض فيما شَجَرَ بين الصحابة ، والقرآن والسنة موجودان والحمد لله بين أيدينا ، أما الوقوف عند هذا الحدث لاستخلاص الدروس فهذا شيء طيب ، وقد قال تعالى : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾ [البقرة : 123] .

وإذا جاء الآن من يقول : ما بال سيد قطب والمودودي ورشيد رضا وابن باديس ... الخ ، نقول : أولئك دعاة وعلماء قد مضوا إلى ربهم ونأخذ ما عندهم من صواب وندع أخطاءهم .

وإذا قرأنا عن معارك العلماء السابقين مع بعض الفرق المنحرفة فهل نتقمص شخصياتهم ونقوم بالدور نفسه ؟ أم أن هناك تيارات خطيرة جداً لم تكن موجودة في

حياة أولئك العلماء ويجب مكافحتها مثل التيار العلماني الذي يكيد للإسلام كيداً تندك منه الجبال .

جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ قال : فما بال القرون الأولى ، قال : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ [طه : 51 ، 52] : قول موسى عليه السلام : ﴿ علمها عند ربي ﴾ يحتمل أن يكون موسى صرفه عن الخوض فيما لا يجدي في مقامه ذلك الذي هو المتمحض لدعوة الأحياء ، لا البحث عن أحوال الأموات الذي أفضوا إلى عالم الجزاء .. [1] .

إنني أخشى أن تكون عملية الاستغراق في الماضي هروباً من تبعات الحاضر، أو أن يكون التمسك ببعض الآراء والأشخاص نوعاً من الاحتمال والدفاع لأننا لم نستطع الهجوم والاستفادة من الأحداث لصنع الحاضر ، مع أن الواجب التكلم عن كل الأخطار التي تحيط بالمسلمين ، ومن الواجب إرجاعهم دائماً إلى نقاء التوحيد وفهم واستنباط القرون المفضلة ، واتخاذ هذا منهجاً وطريقاً لمعالجة مشكلات المسلمين ، والعيش معهم في واقعهم ، ولو كان هذا يكلفنا أكثر ، أو يضع على عاتقنا مسؤوليات أكبر .

---

(1) الشيخ الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير 8/234 .

دراسات اقتصادية

السكان والتنمية
من المنظور الإسلامي

د . محمد بن عبد الله الشباني

في اليوم الخامس من شهر سبتمبر لعام 94م افتتح في القاهرة المؤتمر العالمي للسكان والتنمية الذي قصد من عقده كما يدّعون معالجة النمو السكاني وكيفية مواجهة الانفجار السكاني ، لقد أثار هذا المؤتمر ردود فعل معارضة من قبل علماء المسلمين لما طرح فيه من برامج لمعالجة مشكلة التزايد السكاني تصادم القيم الإنسانية ومبادئ وأسس الاعتقاد بالله الرب المعبود .

إن الإطار الفكري الذي قام عليه المؤتمر ، وما طرح فيه من أفكار ومناهج ووسائل للحد من النمو السكاني ، يقوم على الفلسفة الجدلية المادية التي من مقتضياتها أن الإنسان مالك لتصرفاته بشكل مطلق ، وأنه المتحكم في أموره كلها وبالتالي فهو المسؤول عن توجيه الحياة على هذا الكوكب ، وعليه أن يستخدم قدراته وما أتاحه له التقدم العلمي من وسائل لمجابهة النمو السكاني من خلال فلسفة العبثية القائمة على إنكار وجود الخالق جلا وعلا ، وأن المادة هي المُوجدة لنفسها ولغيرها من الظواهر المادية المشاهدة ، وبالتالي فإن الإنسان بحكم ماديته قادر على أن يتحكم في الحياة ضمن إطار ما أشار إليه القرآن الكريم من وصف هذه الفئة من البشر الذين يعتبرون أن البعد الزمني للمادة هو المتحكم في مسيرة الحياة كما في قوله تعالى : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ [الجاثية : 24] .

أهداف المؤتمر :

تمثلت المجابهة الفكرية لمؤتمر السكان في إنكار توحيد الربوبية من خلال العمل على تأكيد أن الطبيعة المادية للكون هي المالكة لمعطيات الحياة ، وهي محدودة وذاتية التأثير ، وبحكم أن الإنسان جزء من هذه الطبيعة فعليه أن يسعى إلى تأكيد دوره في السيطرة على المعطيات المادية ، فالكون محدود الموارد وبالتالي فإن

محدودية موارده بحكم الطبيعة المادية الحاكمة لذاتها سوف يتغير ميزانها ، ولا تتمكن من توفير احتياجات الإنسان الذي تزايدت أعداده ، فعلى الإنسان أن يتحكم في تكاثره بتقليص نموه حتى تتلاءم الأعداد البشرية مع المعطيات المتاحة للأرض.

هذا المفهوم للعلاقة بين الموارد المتاحة للبشر على وجه الأرض وبين التكاثر السكاني مفهوم قائم على جحود ربوبية الله بإنكار أن للكون خالقاً يدبر شؤونه .

إن البرنامج الموضوع لمجابهة التكاثر السكاني قائم على هذه الفلسفة فجميع الوسائل العملية المطروحة في البيان الصادر عن المؤتمر تهدف إلى خفض تزايد السكان من خلال الدعوة إلى الإكثار من مراكز تنظيم الحمل ونشر الثقافة الجنسية ، والمطالبة بنظامية الإجهاض ، بدعوى حماية حقوق المرأة وتأخير سن الزواج مع جواز ممارسة العلاقات الجنسية خارج الزواج ... كل هذه الوسائل المطروحة والمقرة من قبل المؤتمر بدون اعطاء أهمية لتأثيرها على بناء الأسرة وعلى فشو الانحلال الخلقي لأفراد الأمة ، لأن القيم والأخلاق خارجة عن التفكير المادي العبثي الذي من أجله عقد المؤتمر .

إن معارضة ما ورد من طروحات في المؤتمر العالمي الثالث للسكان لأسس العقيدة الإسلامية يتمثل في إنكار ربوبية الله للعباد ، وإنكار صفات الله المرتبطة بتوحيد الربوبية ، فالله يقول في كتابه : ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاْ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ [فاطر : 11] ، وقوله تعالى : ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ﴾ [العنكبوت : 60] ، وقوله : ﴿ يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ [فاطر : 3] ، وقوله : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ [الأنعام : 151] ، وقوله : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾ [الإسراء : 31] .

إن جميع هذه الآيات ترد على أولئك المؤتمرين الذي يريدون أن يبدلوا كلام الله ، كما أنها تكشف حقيقة الترابط بين القيم الأخلاقية ومحاربتها وبين عملية الإنجاب والرد على دعوى الخوف من عدم كفاية الموارد ، وأن الخوف من الجوع نتيجة للإنجاب إنما يعود في أصله إلى إنكار ربوبية الله للخلق ، وإلى ما قذفه الشيطان في نفوس الجاحدين من كفر بخالق الكون والإنسان .

هذه منطلقاتهم :

لقد قام المؤتمر على فكرة نبذ القيم والنظم الاجتماعية القائمة على عقيدة الإيمان المطلق بربوبية الله للخلق ، وأنه لا يعزب عن قدرته وملكوته مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وأن اقتلاع هذه العقيدة من نفوس الناس أمر غير ممكن لمجافاتها الفطرة ، لهذا تفادى المؤتمر الإعلان عن أهدافه الفكرية بشكل صريح ، ولكنه انتهج أسلوب تحطيم الخلية التي تمثل الإطار الخاص لفطرة الإنسان القائمة على الإيمان بالله ، والمتمثلة في هدم البناء الأسري وما يلزم لهذا البناء من سلوكيات أخلاقية تحقق تلاحمه وتماسكه ، بجانب هذا الهدف فإن للمؤتمر غايات مادية أخرى يرغب في تحقيقها لصالح دول الشمال التي تمتلك القدرة العلمية والمادية ، بخلاف دول الجنوب التي تمتلك مصادر المواد الخام حيث تأخذ دول الشمال هذه المواد بأبخس الأثمان لتعيدها بعد التصنيع إلى دول الجنوب بأغلى الأثمان ، ومن أجل هذا الهدف تزعم دول الشمال التي هي أكثر غنى في العالم أن

مشكلة العالم الثالث أو مشكلة دول الجنوب في عدم النمو إنما تعود إلى القنبلة الديمغرافية (السكانية) ومن أجل ذلك قدمت دراسات مضللة تزعم أن الأرض لن تستطيع أن تُطعم سبعة بلايين من السكان حسب التوقعات لسنة 2010م ، وأن الماء سينضب من العالم ، وأن كثرة السكان في دول الجنوب هي السبب في تلوث الهواء وازدياد حرارة المناخ . [*]

التكاثر السكاني لا علاقة له بالمجاعات :

إن الحقائق الإحصائية تُكذب ما يزعمه الزاعمون ، فقد ذكر برنامج الأمم المتحدة للتنمية أنه في عام (91م) كان خُمس سكان الكرة الأرضية في الدول الغنية يسيطرون على 7 . 84% من موارد العالم الطبيعية ، بينما سكان قارة إفريقيا الأكثر فقراً لا يملكون سوى 4 . 1% من هذه الموارد .

إن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في حماية تجارتها قد أجبرت أوروبا على تعطيل 15% من أراضيها الصالحة للزراعة ، كما أن أوروبا تكدس جبال من اللحم والزبدة والحليب المجفف من خلال شرائها ومنع بيعها إلا بالأسعار التي ترغب فيها ، أما في الجانب الاستهلاكي فإن الولايات المتحدة الأمريكية التي تمثل 5% من سكان العالم تستهلك ربع الإنتاج العالمي من الطاقة .

إن المال المهدر في إنتاج أدوات الهلاك قادر لو وجه إلى تخصيب الصحارى، وبناء السدود ، وحفر الآبار ، وتوفير مستلزمات الإنتاج الزراعي على معالجة مشكلة الفقر في العالم وتوفير المياه اللازمة لذلك فمثلاً : تكلفة حاملة طائرات مجهزة بست وثمانين طائرة يبلغ 5 . 1 بليون دولار أمريكي وهو مبلغ يكفي لتوفير شبكة مضخات مائية تحركها حابسات مياه تعمل بواسطة الطاقة الشمسية لدولة كالهند ، أما بالنسبة لتلوث البيئة فإن واحد من سكان الولايات المتحدة يساهم في ازدياد حرارة الأرض ستة أضعاف مواطن واحد في المكسيك و 190 ضعف مواطن في أندونيسيا فزيادة السكان ليست السبب في تلويث البيئة .

وعلى ضوء هذه المعلومات يتضح أن دعوى التكاثر السكاني ليست هي العلة في المجاعات ولا في انخفاض مستوى الدخول ، وإنما المشكلة تكمن في سوء استغلال الموارد ، والفكر المادي الذي يوجه السياسات الاقتصادية والاجتماعية للدول الغنية .

إن علاقة التنمية بالسكان علاقة تلازم ، فالسكان هم مصدر القوى العاملة التي تمثل أهم عنصر من عناصر الإنتاج ، ولكن مؤتمر السكان أغفل أمر النمو النوعي للإنسان (أي تنمية قدراته وإمكانياته) واهتم بالنمو الكمي للمنتجات بدون ضوابط أخلاقية ، فالنمو حسب المفهوم السائد في المجتمعات الغربية الرأسمالية هو العمل على تزايد الإنتاج لأي شيء سواء أكان مفيداً أو غير مفيد ، مضراً أو مميتاً ، مثل إنتاج الأسلحة والمخدرات كالكحول والسجائر ، وغير ذلك من المنتجات التي لا تنفع الإنسان .

دور الإنسان المسلم في التنمية :

الإسلام يعطي أهـمية كبيرة للتنمية ، كما أنه لا يهمل دور الإنسان في النمو ضمن إطار مفهوم : أن الإنسان خُلق وأسكن على هذه الأرض ليشقى ويتعب وينصب ، وأن شقاء الإنسان المادي مرتبط بسلوكه الاعتقادي ، لكن حقيقة وجود ما يكفي البشر المخلوقين من الاحتياجات المادية التي تقوم عليها حياة الإنسان مكفولة ، فالله قد تكفل برزق جميع من على وجه الأرض وليس فقط الإنسان كما في قوله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ [هود : 6] لكن النقص في الأموال وعدم كفايتها في فترات زمنية معينة لا يرتبط بعدم كفاية ما خلق الله ،

وإنما يعود ذلك إلى أمرين :
الأمر الأول : أن النقص ناتج عن عقاب للإنسان إما بسبب الكفر أو بقصد الابتلاء والامتحان ، يقول تعالى : ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ [البقرة : 155 ، 156] ، وقوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ [النحل : 112] .
الأمر الثاني : الابتعاد عن منهج الله سبب للشقاء المادي سواء أكان بعدم الامتثال لما أمر الله به أو بعدم اتباع شرعه الذي شرعه في تنظيم حياة البشر يقول تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ [الأعراف : 96] .
يعترف الإسلام بالعلاقة التي تربط التنمية حسب المفهوم الاقتصادي وبين السكان ، فالتنمية هي عملية تفاعل مجموعة من القوى خلال فترة من الزمن ينتج عن هذا التفاعل حدوث تغيرات جوهرية بقصد إحداث تغيرات معينة في الاقتصاد القومي ، ويقصد بتلك المتغيرات ما يحدث في عرض عوامل الإنتاج لذلك فالتنمية هي عملية المساعدة في إيجاد التفاعل بين المصادر الإنتاجية والقوى العاملة للمجتمع فتجعل منها طاقة محركة فاعلة ومتفاعلة .
إن مكونات التنمية والعوامل الفاعلة فيها تتمثل في حصيلة التفاعل بين الإنسان والموارد الطبيعية واستخدام الزمن في استغلال عنصري الإنتاج (الإنسان والموارد الطبيعية) ، فحصيلة التنمية تتمثل في الوصول إلى التفاعل بين عنصري الإنتاج والزمن ، وهذا التفاعل لا يتم إلا بوجود المحرك المتمثل في الفكر الفاعل .
إن علاقة التنمية بالسكان تتمثل في أن الإنسان يأخذ مركز الثقل ، فإما أن يدفع بحركة التغيير إلى الأفضل وإما أن يعيق ويعطل حركة التغيير ، وإن حركة التغيير للإنسان تمر من خلال عملية توجيهه من خلال الثقافة والعمل ورأس المال ، فما هو موقف الإسلام من هذا الجانب ؟ ! .
هذا ما سيكون محور الحديث في الحلقة القادمة إن شاء الله .

(*) هذه المعلومات مستقاة من مقالة للفيلسوف الفرنسي المسلم رجاء جارودي ، وقد نشرت ضمن مقالة في جريدة الحياة بتاريخ 11 سبتمبر 94م تحت عنوان القنبلة الديمغرافية خدعة لترسيخ الاستغلال .

قراءة في كتاب

يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة [*]

تأليف/ جيمس باترسون وبيتر كيم
ترجمة : د . محمد بن سعود البشر
عرض : د . مالك الأحمد

توطئة :

يقرأ الإنسان في حياته الكثير من الكتب ، لكن يغلب على القراءات أنها انتقائية بمعنى أنه يقرأ فصولاً وأجزاء من الكتاب مما يثير في نفسه الفضول والشوق لمعرفة شيء ما ، لكن قلما يقرأ الإنسان كتاباً من الجلدة إلى الجلدة كما يقولون وهذا ينطبق على الكتاب الذي بين أيدينا والذي يتميز بتوفر كم من المعلومات ذات الطبيعة الميدانية ، إذ إن محور الكتاب المجتمع الأمريكي الذي يعد نموذجاً من المجتمعات الغربية بصفة عامة .

أهمية الكتاب :

يعتبر الكتاب من المراجع القليلة ذات الطبيعة الاجتماعية التحليلية للمجتمع الأمريكي ، وذلك بناءاً على دراسات علمية وإحصاءات ميدانية ومقابلات شخصية ، ولقد نال الكتاب رواجاً كبيراً في أمريكا لأنه كشف بشكل كاف عن واقع المجتمع الأمريكي كما يراه أبناؤه وأوضح الكثير من القضايا غير الظاهرة ، وحصل على تقريظ الكثيرين من الكتّاب ودور النشر والصحافيين البارزين ، وقد استقى المؤلفان معلوماتهما من دراسات سابقة متعددة إضافة إلى استبانات كثيرة ، ومقابلات شخصية مع آلاف من الناس من طبقات وأجناس وأعمار مختلفة مما يعطي نتائجه مصداقية معقولة وبخاصة وأن شخصيات الناس بقيت مجهولة كي تعطى الفرصة للتحدث بصراحة كاملة ، وقد قالت عنه مجلة (Busiess week) الأمريكية : إنه بمثابة رحلة فكرية مزعجة في عقول الأمريكيين وقال عنه الأديب الأمريكي المعروف (اليكس هيلي) : أنه يعرض الحقائق عن أنفسنا مما لم أشاهده في أي دراسة أو في استطلاعات الرأي ولا حتى في الأحاديث الشخصية .

منهج المترجم :

سعى المترجم د . محمد البشر أستاذ الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود إلى الترجمة الكاملة والأمينة لمحتويات الكتاب كاملة لكنه لدواع إسلامية اضطر إلى الترجمة الانتقائية في بعض الأحايين خصوصاً عندما يستخدم المؤلفان ألفاظاً سوقية أو عند الكلام على قضايا جنسية بطريقة تخدش الحياء فيعمد المترجم حينئذ إلى الحذف اضطراراً أو الترجمة بالمعنى ، وذلك دون الإخلال بالمعاني العامة المرادة وبما لا ينقص من المادة العلمية للموضوع .

ولم يعلق المترجم على المادة ، إلا في حالات نادرة لتوضيح مبهم أو شرح اصطلاح ، مما يضفي على الكتاب المترجم قيمة علمية .

محتوى الكتاب :

الكتاب مكون من مقدمة وتسعة فصول وخاتمة في حدود مئتي صفحة .

المقدمة : يبين المؤلفان فيها نظرة الأمريكيين إلى الأشياء التي تهمهم في الحياة ، إضافة إلى حقائق توصلا إليها من خلال الكتاب .

الفصل الأول : الأقاليم الأخلاقية في أمريكا حيث يرى المؤلفان أن هناك تمايزاً أخلاقياً في أمريكا تبعاً للمواقع الجغرافية .

الفصل الثاني : السلطة الأخلاقية الحقيقية في أمريكا حيث يشير الكتاب إلى عدم وجود مرجع أخلاقي ديني أو اجتماعي للناس .

الفصل الثالث : مأزق الأخلاق والقيم حيث يُفَصّل الكتاب الحديث في أخلاق الناس وانحرافاتهم وأسبابها .

الفصل الرابع : الرجال والنساء في عقد التسعينات حيث يبين الكتاب مدى الخصام بين الجنسين والصورة السلبية للجنسين حيال بعضهما ، ونتائج ذلك على الأسرة والأطفال .

الفصل الخامس : العنف في أمريكا ويبحث فيه المؤلفان العنف والسلام والاغتصاب والانتحار والإيدز والجريمة باعتبارها قضايا مرتبطة ببعضها بشكل أو بآخر .

الفصل السادس : العمل : يتحدث الكتاب عن العمل والإخلاص فيه والعلاقات بين أفراده وعن أخلاقيات العمل .

الفصل السابع : الحياة الاجتماعية : حيث يقارن المؤلفان بين أفقر حي في نيويورك وأغنى حي في لوس أنجلوس ، ثم يعرجان على غياب مفهوم القرية الواحدة ثم أرقام الجريمة الحقيقية ويعرجان على الفقر والعنصرية والإدمان

باعتبارها ظواهر اجتماعية عامة .

الفصل الثامن : الله ، والسلطة الأخرى : يبين الكتاب من الذين يؤمنون بالله وهل هو مصدر التعاليم ومن هم قادة أمريكا الحقيقيون .

الفصل التاسع : أمريكا والعالم : يبين موقع أمريكا من العالم في نظر أبنائها ، ومستقبل الصراع الاقتصادي والحضاري .

الخاتمة : أربعة وخمسون حقيقة توصل إليها المؤلفان من مجمل ما توصلا إليه في دراستهما هذه .

ماذا نستفيد من الكتاب :

لا شك أن الكتاب مكتوب للشعب الأمريكي ولذا فطريقة البحث ونتائجه تهم ذلك الشعب ، لكن بالنسبة للمسلمين فإن دراسة واقع المجتمعات الغربية التي لها علاقات متشابكة مع العالم الإسلامي لها أهمية بالغة من عدة جوانب لعل أبرزها ظاهرة تأثر الضعيف بالقوي ، وظاهرة التقليد عموماً إضافة إلى استشراف مستقبل هذه الأمم وتوقعات زمن الأفول لهذه الحضارات ، مما يشجع ويدفع المسلمين وبخاصة المقيمين في الغرب إلى الاستفادة من هذا الواقع المتردي لعرض الدين الإسلامي عليهم كي ينجوا من واقعهم الحالي بعد التفكير في مآلهم ومصيرهم .

نتائج الكتاب :

لعلي أشير إلى ما لخصه المؤلفان وما استطعت تلخيصه من خلال استعراض الكتاب فيما يلي :

* النساء أفضل خلقاً من الرجال مما يؤهلهن لتسلم مهمات قيادية في مجتمعهن.
* تفتقر أمريكا للقيادة الأخلاقية ، أما قادتها الحاليون فهم مصدر الإخفاق في كل المجالات .
* الشباب الأمريكي هم أكبر مآسي المجتمع .
* ما يصل إلى 60% من مجموع السكان هم ضحايا الجرائم .
* فقدت نسبة كبيرة من الأطفال معاني الطفولة ، وأصبحوا ضحايا ظواهر سلبية جديدة ، ومنها على سبيل المثال الاغتصاب ، حيث إن نسبة كبيرة من الصغيرات (تحت ثلاثة عشرة سنة) تعرضن للاغتصاب ، وبشكل عام فإن واحداً من سبعة أطفال تعرض لاعتداء جنسي .
* الانحراف الخلقي والتحلل من القيم هي المشكلة الأولى في البلاد .
* الزواج لم يعد حصانة للمجتمع فالمشكلات الأسرية متفاقمة لدرجة أن ثلث الأزواج يخونون بعضهم بعضاً .
* غياب الأمن الاجتماعي من ظواهر السنوات الأخيرة ، وانتشار الفردية في كافة نواحي الحياة .
* 20% من النساء تعرضن للاغتصاب وفي أكثر الأحيان يكون ذلك من أصدقاء ومعارف .
* السلطة الأخلاقية في المجتمع مصدرها الإنسان نفسه والتبرير لذلك السلوك المنحرف يكون عادة ببساطة غيري يفعله .
* ثلثا الناس يعتقدون أن الكذب لا حرج فيه رغم شعور الكثيرين بالخزي تجاهه وتجاه السلوكيات الأخرى المنحرفة .
* أكثر من 50% من الناس لا ترى مبرراً للزواج وبالنسبة لأكثر المتزوجات فإن الإحصان الجنسي وإنجاب الأولاد ليسا السبب الرئيس للزواج ، وما يدعى أنه أكبر مبررات الزواج (الحب) هو من أكبر أسباب الطلاق فيما بعد .
* العلاقات الزوجية ليست جيدة في العموم ، وطبيعة الحياة ونظرة الزوجين لبعضهم بعضاً من أهم أسبابها .

* العنف من أبرز أمراض المجتمع الأمريكي ومعدلاته تفوق جميع البلدان الأخرى بمراحل ، وهو لا يقتصر على فئات معينة . ولوسائل الإعلام دور رئيس في انتشار العنف ، إضافة إلى واقع الحياة وظروف النشأة .
* 14% من سكان أمريكا يحملون سلاحاً ، والحصول على السلاح رغم القيود الإضافية متيسر خصوصاً لمن يدفع نقداً .
* الانتحار مستفحل في أمريكا والرقم الرسمي (30.000) ، لا يقل الرقم الحقيقي عدداً عن آلاف من محاولات الانتحار الفاشلة فضلاً عن الأعداد الضخمة التي تفكر في الانتحار وهذه الظاهرة تكثر في أوساط الرجال والشاذين والشباب .
* 2.2 مليون أمريكي مصاب بالإيدز ، وسبعة ملايين يعتقدون باحتمال إصابتهم به .
* هناك رغبة عامة في تدريس المبادئ والقيم الاخلاقية في المجتمع الأمريكي.
* الفساد والرذيلة والمخدرات أكثر انتشاراً في الأوساط الغنية منه في الأوساط الفقيرة .
* نسبة 90% من الأمريكيين يؤمنون بالإله ، لكن الالتزام بأوامره ضعيف للغاية .
* اليابان تمثل تحدياً اقتصادياً كبيراً لأمريكا حالياً ، ويعتقد أكثر الأمريكان بأفول أمريكا في القرن القادم لصالح اليابان .
* عضو الكونجرس الأمريكي لا يختلف أخلاقياً عن قادة الجريمة وتجار المخدرات .
* المال هو العامل الرئيس لدى الأمريكي كي يكذب أو يغش أو يسرق أو يقتل .
* 20% من الأمريكان يتعاطون المخدرات بشكل أو بآخر .
* الجشع والأنانية من الصفات البارزة للمجتمع الأمريكي الحالي .

هذه الخصائص آنفة الذكر تمثل صورة قريبة جداً من الواقع لأنها نتاج مقابلات شخصية مع آلاف من الناس ، وفي الحقيقة ليست هي المقياس الوحيد لكنها إضافة إلى ما ينشر من أخبار ودراسات وتحليلات للواقع الاجتماعي الحالي لأمريكا تمثل صورة واقعية يمكن من خلالها رسم صورة معقولة والوصول إلى نتائج مقبولة.

هذا واقع الشعب الذي ما يزال نفر من بني أمتنا يرى فيه (نموذجاً) ويدعون بكل صفاقة لتقليده واحتذاء أساليبه الحياتية وهو يعيش في جاهلية وانحراف وسقوط، لكن أولئك المقلدة علموا أو جهلوا إنما يدعون لهوان أمتهم وانحرافها ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وياليتهم يدعوننا إلى تقليدهم في العلوم والتقنية والأبحاث ولكن المشكلة أنهم يريدون السير وراء ذلك الشعب بحضارته وثقافته كما قال كبيرهم الذي علمهم السحر لنأخذ الحضارة حلوها ومرها ، خيرها وشرها .

وحينها نعلم إلى أي مدى يريد أولئك بأمتنا من شرور وفتن ، وفاقد الشيء لا يعطيه ..

(*) صدر الكتاب عام 1414 هـ/1994 م بعد ترجمته للعربية ويعتبر في طبعته الأصلية أحد الكتب التي احتلت الصدارة في قائمة المبيعات في أمريكا .

المسلمون والعالم

نوبل الباردة .. ولغة الحيوان

عبد الله عمر سلطان

كان منظر الثلاثة وهم يقفون على منصة الاحتفال يبعث في النفس الشعور بالتقزز وتتداعى معه مصطلحات راجت في الفترة الأخيرة في مقدمتها : العصر الإسرائيلي ، المعايير المزدوجة ، النفاق الرخيص . أكثرهم تصنعاً وقلقاً ، كان أولهم في استلام جائزته من الراعي للحفل ، فعندما تقدم عرفات لاستلام جائزة نوبل للسلام ظهرت مواهبه المعروفة ، كما ظهر بشكل قاطع أن سيل الأحداث وضغط الواقع القائم قد خفف من قدرته على إخفاء إحباطه وفشله رغم الضحكة الصفراء والسرور المصطنع الذي غطى معالم وجهه أما بيريز فعندما تقدم إلى استلام جائزته وإلقاء كلمته كان يحاضر بعقلية الإستراتيجي الذي خطط أسلافه قبل أكثر من نصف قرن بعض تفاصيل حاصل ما يجري اليوم من أحداث ، وبعقلية المستشرف لمستقبل المنطقة وتفاصيل المشروع الصهيوني القائم من خلال الدراسات العلمية ، أما رابين فكان أكثرهم استكباراً وتضايقاً من حشره في مقعد مجاور لعرفات ، هذه الشخصية التي طالما احتقرها بالأمس ومارس معها منذ اتفاق أوسلو عملية تحطيم شخصية وسياسية بشكل مهين .

مر الاحتفال بارداً ، برودة الاتفاق الذي أفضى إلى نيل الثلاثة هذه الجائزة ، كما عكس بشكل قاطع أن الاتفاق رغم المناورات والمحادثات السياسية الأسبوعية بين حكومة رابين وسلطة عرفات يعيش في غرفة الإنعاش ويرفض مغادرتها .

قال صحفي نرويجي غطى الاحتفال قائلا : من كان يصدق أن يقف عرفات في منصة التتويج لولا هذا الانقلاب الهائل الذي جعله يتحدث إلى ضيوف الحفل كما يتحدث رئيس جمعية حماية حقوق حيوانات في بلد أوربي ؟ ! ، ورغم كل هذه العبارات المليئة بالحديث عن الإنسانية والسلام والبيئة والتحضر فإن عرفات كان غير صادق وكان جمهوره يعرف ذلك لكنه اضطر إلى مجاملته إلى النهاية طالما أن الزعيم الفلسطيني قد أدرك ولو في سن الشيخوخة أن عليه أن يتصرف وفق الفكر الإنساني الديموقراطي وأن اللغة الوحيدة التي سمحت له أن يقف في هذا المحفل هي لغة المتحضرين .. ! .

لغة المتحضرين ... ؟

ما لغة المتحضرين ؟ هل هي اكتشاف نجهله أم همهمات بالغة الصعوبة أم وصفة دوائية علينا أن نتناولها بانتظام ؟ ربما كانت جواز سفر سحري يسمح للكهول أن يدركوا سفههم ولأصحاب القضايا الخاسرة أن يعوضوا شيئاً مما فُقد . لغة المتحضرين .. ما هي يا ترى هذه اللغة ؟

والجواب أن جائزة نوبل هي في الحقيقة عبارة موحية وهامة في هذه اللغة التي أحس الكاتب النرويجي في استخدامه لهذا المصطلح الذي يختصرحالة الحصار الغربي للمنطقة ، لإشكالية الهوية الإسلامية والتعامل معها بالتحديد ، والإطار الغربي للتعامل مع الآخرين ... وفي مقدمة الركب بالطبع المسلمون !

هذه الإشكالية عبر عنها بكل صراحة المستشرق الفرنسي فرانسوا بورجا بقوله الحضارة الغربية المعاصرة وفي نشوة قوتها الحالية لا تسمح بوجود ثقافات أو حضارات أو لغات أخرى وهذا السلوك المعاصر يتكئ على مخزون تاريخي يمتد إلى وقت بداية : الاستعمار الأوربي للعالم حيث كان مبدأ الغربيين (الصليبيين) منذ البداية إلغاء الثقافات والأجناس الأخرى حتى ولو كان ذلك بأسلوب التطهير العرقي الذي يمارسه الصرب الأوربيون اليوم على مرأى ومسمع من العالم .

وليم فان الكاتب في الـ لوس أنجلوس تايم يقيم الوضع من زاوية أخرى بقوله : إن العالم الغربي يجب أن يعترف بوجود مشكلة له مع العالم الإسلامي وهي أن هذه الشعوب ترفض أن تتخلى عن الفكرة القائلة بأن الدين ينظم كافة مناحي الحياة ، ويرفض بشكل قاطع أن ما لقيصر لقيصر وأن ما لله لله ، وهذا ما أدركته

الشعوب المسيحية (المتحضرة) حتى في أوج حماسها الديني ، ويكفي أن نذكّر بأن شارلمان الذي قُلد منصب الإمبراطور المقدس لأوربا عام 800م من قبل بابا روما قد سلك هذا المسلك ، لقد توج شارلمان من قبل البابا لكنه لم يكن تحت سلطته ، وهذا ما أتاح أن يكون شارلمان رأس الدولة ومُصّرف أمور الدولة ، بينما كان البابا راعي الآخرة وزعيم الكنيسة . هذا الانفصام لم يحصل في تاريخ الإسلام ، وظل المفكرون المسلمون عبر العصور يرون الدين والدولة وحدة واحدة مما أسقط فكرة الدولة المدنية (العلمانية) من تاريخ المسلمين حتى بداية هذا القرن .

إنها مشكلة حاول الصليبي المستعمر منذ قرون أن يجد لها حلاً ومرت تجربته خلال هذا القرن بمراحل ومشاهد وتجارب متعددة .

خبرة قرن :

في بداية هذا القرن ، وفي ظل الاستعمار الغربي المباشر وتخلف المسلمين على كافة الأصعدة ، كانت الدعوة العلمانية الصريحة واضحة وقوية ومنتشرة مستفيدة من وجود الاستعمار الذي هو تفوق الآخر الأوربي على المسلم المتخلف حينما قيل : أن ليس أمام المسلم من طريق للوقوف سوى الاستناد إلى التجربة الأوربية العلمانية التي فصلت بين الدين والدولة بشكل قاطع ، ويمكن القول : إن دعاة التغريب والعلمنة كانوا هم المتمتعين بوضع هجومي وبخاصة أن الغرب المستعمر قد رأى في هذه النخب بروز أول ظاهرة علمانية في تاريخ المسلمين وظهور أول جيل يطالب بتنحية الشريعة عن مظاهر الحياة .

لكن فشل الظاهرة الليبرالية في إيصال رسالتها وتعميقها شعبياً مع ظهور بداية حركات إسلامية مناهضة إضافة إلى تفاقم الغضب الشعبي من الاستعمار وممارساته قد أدى إلى انحسار الفكر الليبرالي لاسيما المتطرف منه وانحصار هذه الظاهرة بالأحزاب التي تبنت جزئياً مناهضة المستعمر واستقلال بلدان العالم الإسلامي من نير احتلاله .

وأما المرحلة التالية فقد تزامنت مع انهيار القوى الاستعمارية الأوربية التقليدية وظهور القوتين المنتصرتين أمريكا والاتحاد السوفياتي واشتعال الحرب الباردة في مناطق النفوذ لاسيما رقعة العالم الإسلامي ، وقد شهدت هذه الفترة تراجعاً جديداً للأحزاب والشخصيات والرموز المرتبطة بالليبرالية الغربية يقابله صعود المد اليساري الذي رأى من خلال تبني الماركسية والاشتراكية والقومية سبيلاً للخلاص من الامتداد الاستعماري الأوروبي المتمثل في الولايات المتحدة ، لاسيما مع بروز دولة الكيان الصهيوني ووقوف الغرب بانحياز تام نحو مشروع إضعاف واستنزاف العالم العربي من خلال قاعدة استعمارية تمثل أسلوباً جديداً من أشكال الاحتلال المرتكز على أسس دينية وعقدية تكرس الهيمنة الاقتصادية والسياسية التي كانت ولا تزال سائدة .

وتمثل المرحلة الثالثة والتي بدأت بانهيار جدار برلين واندحار الشيوعية الحالة الراهنة لإطار المواجهة مع العالم الإسلامي وإن كانت هذه الحقبة قد تميزت بارتفاع موجة الليبرالية العلمانية من جديد . وهذه الموجة قد ظهرت في ظل بروز معطيات جديدة منها :

* تصاعد موجة الصحوة الدينية في العالم بشكل عام وفي العالمين الإسلامي والغربي بشكل خاص ومع بروز هذه الظاهرة استطاع الغرب أن يستوعب هذا التيار ضمن بوتقة القوى الفاعلة فيه بينما حوربت هذه الظاهرة بلا هوادة من قبل النخب السياسية والثقافية في العالم الإسلامي .

* انهيار الخطر الشيوعي وتقديم الخطر الإسلامي عدواً أوحداً للحضارة الغربية وإبراز النظريات الداعمة لتضخيم الإسلام عدواً ومصارعاً للحضارات .

* بروز قوى اقتصادية جديدة في العالم تشكل نواة حضارية مرتبطة بالغرب في إطارها العام لا سيما في اليابان وجنوب شرق آسيا مع محدودية التجربة الفكرية التي تقدمها تلك الشعوب للعالم عموماً وللغرب خصوصاً .

*اتساع شبكة الاتصالات ووسائلها بصورة مذهلة مما نقل المعركة الحضارية إلى أرجاء المعمورة بصورة فاعلة وفورية وإمساك الغرب بوسائل وأدوات الثورة الاتصالية والإعلامية الحالية وإدارة المعركة من خلالها بثقة وذكاء .

*بروز العامل الاقتصادي الاستعماري في صورة الشركات المتعددة الجنسية وتطويع الموارد الرخيصة في العالم لخدمة الاستعمار الجديد ورموزه الحالية وهيئته الجديدة .

*كل هذه العوامل تجعل الغرب وحضارته الصليبية المعاصرة في وضع يسمح له بأن يضرب بالمبادئ والمثل بل وبالمنطق والعقل عرض الحائط في سبيل تكريس لغته الحضارية التي يتحدث بها باستعلاء تجاه الآخر لا سيما إذا كان الآخر هو العالم الإسلامي ويتحدث بلا حياء عنها وكأنها الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه رغم أنه أي الغرب يعرف حقاً كذب وبهتان هذه اللغة .

أحداث متفرقة .. وخيط رفيع :

دعونا نلقي نظرة إلى بعض أحداث الأسابيع الماضية ، ثم ننظر إلى المحصلة النهائية لهذه الأحداث ... ففي البوسنة مارس الصرب ولازالوا أبشع أنواع الجرائم الإنسانية ، ووقف الغرب المتمدن ينظر إلى جنود بطرس غالي وهم يؤخذون أسرى ، ومدرعات الأمم المتحدة تؤخذ عنوة دون أن يكون هناك رد فعل ولو نفاقاً لإسكات أفواه المدافع الأرثوذكسية ... والسبب أن الصرب في امتدادهم الديني والحضاري يتكلمون (اللغة المتحضرة) ... لغة عبادة القوة التي يمارسها الغرب في حق الضعفاء من أمثال البوسنيين ..

أما في الشيشان فهناك دولة تنتهك حدودها يرمي شعبها الأعزل أجساده النحيلة وعظامه الهشة لتشكّل في وجه الدبابات الروسية الصليبية المتغطرسة سداً . بينما يقف وزراء خارجية الدول الغربية موقف غير المبالي من الحدث وكأنه يشهد جولة من جولات المصارعة الحرة بين أسد وقط .

أما إذا كنا قد بدأنا بجائزة نوبل فلنا أن ننتهي بجائزة كورت توخولسكي التي أعطيت للمرتدة تسليمه نسرين من قِبل نادي القلم السويدي وقامت مارجريت أون جلاس وزيرة الثقافة السويدية بتسليم الجائزة لهذه المرتدة عرفاناً من مثقفي الغرب بإنجازات هذه الكاتبة المتحضرة التي وقفت ضد الإسلام والأصولية الهمجية ! ثم ما هي إلا أسابيع وتزور المذكورة باريس عاصمة الظلام الفكري والحقد الذي ليس له حد في حراسة 1200 جندي لتعلن هناك وبصراحة أنها ملحدة ولا تؤمن بالإسلام جملة وتفصيلا . فيصفق لها الغرب المتحضر ويكتب وليم فان في 13 ديسمبر 1994 قائلاً إن قضية تسليمه نسرين يجب أن تلقي بالضوء على التحدي الذي يواجه المثقفين في العالم الإسلامي وهم يسعون إلى تكريس مبدأ حرية المعتقد ونقاش الحريات بشكل واضح ، وليست تسليمه وحدها تعاني من التعصب ، فهناك أمثلة أخرى : كسلمان رشدي والكتاب الجزائرين المرتبطين بالمدرسة الفرنسية ، كل هؤلاء ظواهر قوية تحظى باحترام غربي ومن المؤمنين بالحرية والديموقراطية في العالم ، وعلى الغرب أن يعمل ما في وسعه لبقاء مثل هذه الأصوات داخل العالم الإسلامي بدلاً من هروب هؤلاء عن الساحة ولجوئهم إلى الغرب ... إن من السهل أن يرفض المثقف الإسلامي ويرحل ... ! ! لكن الأهم أن يبقي هؤلاء داخل المجتمعات الإسلامية حتى تصل هذه المجتمعات إلى مرحلة القبول بمصطلحات العالم المتطور ... إنه دور ضخم ومطلوب ، لكنه في هذه الأيام دور محفوف

بالمخاطر ...
هكذا يلخص الكاتب القضية بكل صراحة ووقاحة ... الجوائز تنتظر أولئك الذين يفتحون الجبهات الساخنة في المجتمعات المسلمة ، وجائزة ك نوبل سترتبط في الذاكرة العربية المسلمة بكل ما من شأنه اغتصاب الحقوق وإهدار قيم ومبادئ هذه المجتمعات الملاحقة ، ترتبط باتفاق الشؤم في كامب ديفيد أو بتوقيع إتفاق بيع الحقوق والمقدسات كماحدث في أوسلو ، وهذا بالضبط ما جعل الجمهور المحاصر من التلال الشيشانية إلى الأصقاع البوسنية يعي أن الحرب على الإسلام ثمنها القبول في مجتمع التحضر الصليبي ولو كانت عضوية من الدرجة الثانية والمكافأة على الدور المطلوب حتى ولو كان سمجاً وفجاً ومحمياً من قبل ألف ومائتي جندي ! !
المرحلة الحاضرة مثقلة بتناقضات شتى ، أبرزها : لغة الغرب المتباكي على حقوق الحيوانات والرافض لبشر حملوا حضارة العالم قروناً وحقهم في أن يقرروا ما يريدون ، وأن يعيشوا ضمن مبادئهم التي تشع مع كل ضربة موجهة إليهم ومع كل حصار يَحشده الغرب يحاول من ورائه أن يستأصل هذه الأمة كما استأصل الهنود الحمر وكمحاصرته سكان الغابات الاسترالية . والشعوب المسلمة تؤكد مع كل موجة صليبية جديدة أن فيها عروقاً تنتفض وتزيد حيوية كلما رأت خائناً يجرح كرامتها بأقدامه التي تدوس على البسط الحمراء في طريقه إلى نيل أعطية يحاول من خلالها أن يثبت أنه مهتم بقضية الحفاظ على حقوق الحيتان الزرقاء في العيش بحرية في المحيط الهادي بينما الأحرار الأبرار يعيشون حصاراً أشبه ما يكون بـ (حصار الشعب) المكي الشهير .

المسلمون والعالم

في الشيشان هل يعيد التاريخ نفسه ؟
عرض ومتابعة للعلاقات الروسية الشيشانية

أحمد العويمر

تمهيد :

تقع بلاد الشيشان في السفوح الشمالية لجبال القوقاز ، وتتدفق إليها المياه من الجبال مشكلة أنهاراً كبيرة ترفد نهر ترك الذي يعد أهـم أنهارها ؛ ولذا اشتهرت بخصوبة أراضيها وكثرة غاباتها الكثيفة ، وقد سكن الشيشان هذه الأرض على ضفاف الأنهار وكان للغابات أثرها في حمايتهم من الأعداء ، يقول (جون ماديلي) : مادامت الغابات موجودة لم يكن من سبيل لقهرهم ، ولم يؤثر الروس في مقاومتهم إلا بعد قطع أشجار الغابات حتى قال : إنه يمكن القول بلا مبالغة إن الذي هزم الشيشان لم يكن السيف بل البلطة .

وتشتهر الشيشان بثرواتها البترولية والمعدنية بالقرب من عاصمتها (جروزني) ومساحتها تبلغ (19ر000كم2) وسكانها (1ر500) مليون نسمة ويشكل المسلمون فيها نسبة 74% وبسبب الاستعمار الروسي أصبح المسلمون في العاصمة أقلية ؟ .

مقاومة الاستعمار الروسي :

بدأ احتكاك الروس بشعب الشيشان المسلم عام 1722م ، عندما قام (بطرس الأكبر) بغزو القفقاس بجيش جرار يقوده بنفسه ، فتعرض لهجوم شيشاني أنزل بجيشه ضربة قوية ، نزلت عليه نزول الصاعقة ، مما جعله يغير خططه العسكرية

للغزو ، فكانت خطته الجديدة أن يترك هؤلاء ولا يحل بهم إلى أن يتم إحكام الحصار عليهم من كافة الجهات ، ووجه جيوشه لنواحي القفقاس الأخرى وبخاصة الأراضي المنبسطة ، وفي سفوح الجبال العارية من الغابات ولم يكن الأمر هيناً أو نزهة كما توهم ولم يدر بخلده أنه سيذهب إلى الجحيم ، وأن أحد عشر قيصراً بعده سيواجهون حرباً ضروساً من عام 1722 إلى عام 1917م حيث اضطر خَلَفُهُ الحادي عشر (نقولا الثاني) إلى التنازل عن العرش في 5/3/1917م منهياً حكم الروس البيض وجرائمهم ومظالمهم .

تقول المؤرخة الأمريكية (لزلي بلانتي) في كتابها سيوف الجنة إن خسائر القوات القيصرية في حرب القوقاز الأولى بلغت نصف مليون جندي وضابط سقط معظمهم في قتال الشيشان والداغستان الذين اتحدوا معاً لمقاومة الروس المستعمرين لمدة 40 سنة ، وفي معركة دارغو وحدها لم ينج من 30 ألف جندي روسي سوى خمسة آلاف بعد وصول نجدة كبيرة لهم وفي مقاومة الشيشان على يد الشيخ منصور والشيخ شامل والإمام غازي محمد صفحات جليلة من ملاحم الجهاد يعتز بها كل مسلم وهي جديرة بالاطلاع لما فيها من صور للبطولة والشجاعة [*] .

وبتنازل نقولا الثاني انتهى الاستعمار الروسي الأبيض ، ليبدأ استعمار أشد هو الاستعمار الشيوعي للروس الحمر ، حيث استولت القوات الشيوعية على القفقاس عام 1314هـ ، (1922م) ، وقد أعطى لينين الشيشان حكماً ذاتياً ، ثم دمجت مع (الأنجوش) عام 1353 (1934) لتكونا جمهورية واحدة .

نفي الشيشان عن موطنهم :

وضمن قرارات ستالين العشوائية الحاقدة على المسلمين أصدر أمره بنفي الشيشان وإخوانهم المسلمين حولهم إلى سيبريا ، وألغى جمهوريتهم وأعطى أراضيها لجورجيا ، وقد مات عشرات الألوف منهم أثناء رحلة الموت تلك ولكن المسلمين الشيشانيين لم تزدهم تلك المحنة التي بقوا فيها 15 عاماً سوى تمسكاً بدينهم وهويتهم حتى ألغى مجلس السوفيت الأعلى ذلك القرار الجائر وبرأ الشعوب المسلمة من تهمة التعاون مع النازي ، وسمح للشيشان والأنجوش بالعودة إلى وطنهم عام 1377هـ (1957م) لكنهم لم يجدوا بلادهم إلا قاعاً صفصفاً ، حيث هدمت المنازل والمدارس والمساجد في محاولة لإلغاء الدين الإسلامي من نفوسهم ، وقد فشلت المحاولة ، ولم تزدهم المحنة إلا قوة وإيماناً .

بقيت الشيشان جمهورية بحكم ذاتي تحت إشراف روسيا حتى نهاية الحرب الباردة والانقلاب الذي أطاح بالرئيس السوفيتي الأخير (جورباتشوف) عام 1991م وفي تلك الظروف قام الشعب الشيشاني المسلم بمسيرة كبرى في شوارع (جروزني) مرددين لا إله إلا الله محمد رسول الله , ثم تجمعوا في عدد هائل وزكوا أحد الجنرالات المسلمين المتقاعدين وهو (جوهر داوديف) ثم اختاروه رئيساً لبلادهم التي أعلنوا استقلالها ، وقرأ القسم الذي حدده العلماء أقسم بالله العظيم أن أحارب من أجل استقلال شعب الشيشان حتى آخر قطرة من دمي وتألفت حكومة شيشانية ، وتقاطر الناس في الشوارع بسلاحهم وأقسموا بأن ينتهزوا الفرصة لعودة الإسلام إلى بلادهم وتداعوا على قلب رجل واحد بأن يلتسن لو تحرك ضدهم أو لم يعترف باستقلالهم فإنهم :

1- سيقطعون الطريق بين موسكو وباكو .

2- ويقومون بعمليات انتحارية ضد المؤسسات الاستراتيجية في داخل روسيا وأعلنت الجمهوريات المسلمة تأييدها لاستقلال الشيشان ، وعارض البرلمان الروسي إرسال قوات إلى الشيشان ، وعاد 800 جندي روسي بل سلموا الطائرات التسع التي جاءت لنقلهم هدية للجنرال (داوديف) .

وأكد علماء الشيشان على عدم تعريض الروس لأي اعتداء بل تركوا الباب مفتوحاً لخمسة عشر ألف روسي في الداخل لمغادرة البلاد إن أرادوا .

ويتكون الجيش الشيشاني من المسلمين الذي كانوا ضمن الجيش السوفيتي السابق وممن دربهم داوديف سراً ودخل بهم العاصمة (جروزني) في 9/9/1991 ، وبقيت موسكو حائرة حيال ما حدث بل إن بعض المصادر أشارت إلى أن يلتسين كان يشجع (داوديف) على الاستقلال لإحراج الرئيس السابق (جورباتشوف) وتعجيل الإطاحة به ، وبعد إعلان الاستقلال وتنصيب داوديف رئيساً ، وبعد زياراته لعدد من الدول المجاورة أثار ذلك حفيظة موسكو لاستقباله كرئيس دولة .

المؤامرات الروسية بعد الاستقلال :

قامت روسيا بإرسال قوات حكومية لإقصائه ، ودعمت معارضيه الذين يتزعمهم الشيوعي السابق (عمر افترخانوف) مدير الإدارة المحلية السابق ورئيس البوليس السري السابق في (نادقيرشني) الشاشانية ، ومده بالسلاح لمحاولة إسقاط الرئيس واحتلال الإذاعة والتلفزيون لكنهم فشلوا .

في الآونة الأخيرة أعادت المعارضة هجومها لإسقاط الرئيس داوديف بزعامة (افترخانوف) عسكرياً وبزعامة حسب الله توف سياسياً بدعم عسكري روسي مع غطاء جوي قصف المطارات ودور الحكومة وقصر الرئاسة ونفت روسيا في البداية أي دور لها في دعم المتمردين الشيوعيين ، لكنها اعترفت بذلك فيما بعد .

لماذا يحاول الروس إسقاط داوديف : يرجع هذا إلى دافعين رئيسين هما :

أولاً : الدافع السياسي : ويتمثل في خوف روسيا أن يدفع انفصال الشيشان بقية الشعوب المسلمة إلى طلب الاستقلال ، وبالتالي انفراط عقد الاتحاد الروسي كما انفرط الاتحاد السوفياتي البائد ، وحتى لا يُشَكل فيما بعد اتحادٌ يضم شعوب شمال القوقاز بقيادة (داوديف) ، مع أنها شعوب تعاني من الفقر وسوء الأحوال الاقتصادية، وهذا الهاجس المفزع لمستقبل روسيا الاتحادية يرعب أيضاً المجتمع الدولي الذي يخشى قيام كيان سياسي إسلامي في هذه المنطقة الاستراتيجية : لكونها ملتقى قارات آسيا وأوروبا وأمريكا ولكونها ملتقى الملاحة الدولية في هذه المناطق .

ثانياً : الدافع الاقتصادي : حيث تعتبر جمهورية الشيشان ثاني مصدر احتياطي لنفط روسيا بعد أذربيجان المستقلة التي وقع رئيسها (علييف) اتفاقيات نفطية مع مجموعة من الشركات الأجنبية ، فضلاً عن كون منطقة القوقاز غنية بالزراعة ذات المحاصيل المتنوعة التي تذهب جلها إلى موسكو مما يشكل فقدانها خسارة اقتصادية كبيرة لهم .

الاستراتيجية الروسية لإسقاط داوديف :

تتمثل في الآتي :

أولاً : سد الطرق التي يأتي منها الدعم للشيشان :

- بدأت هذه الاستراتيجية بإسقاط الرئيس السابق لجورجيا (زفياد جمسا خورديا) ليحل مكانه شيفارنادزة بسبب تأييده استقلال الشيشان ومدهم بالسلاح والمتطوعين ، وكانت جورجيا في عهده مفتوحة لاتصاله بالدول الأخرى ، وكان بقاؤه يشكل عمقاً سياسياً واقتصادياً لداوديف ولذا أُسقط نظامه .

إشغال أذربيجان بحربها مع أرمينيا حتى لا تتمكن من مساعدة الشعوب القوقازية عسكرياً واقتصادياً بحكم كون الجميع مسلمين ولقد شارك الآذاريون الشيشان الاحتفال بالاستقلال بوفود رسمية وشعبية .

ثانياً : الحصار الاقتصادي وتشجيع المعارضة الشيشانية :

وهما ورقتان لا يمكن فصلهما لسبب بسيط وهو كون الحصار الاقتصادي من أهم وسائل المعارضة في كسب المؤيدين لهم ضد الدولة ، وكذلك تجييش رجال عصابات المخدرات وعلى رأسهم (روسلان لابزانوف) لارتكاب سلسلة من الحوادث مثل خطف القطارات والطائرات واحتجاز الرهائن في مناطق مختلفة من القوقاز وروسيا الاتحادية مع انتحال صفة وهوية رجال داوديف ولقد سلط الإعلام الروسي وبعض وسائل الإعلام العربي المشبوهة الأضواء عليهم بتلك الصفة للإساءة إلى نظام داوديف وإظهاره على أنه نظام إرهابي .

ولكون زعيم المعارضة (افترخانوف) غير معروف دولياً فقد تم العفو عن (حسب الله توف) المعروف دولياً ، الذي ظهر فجأة رمزاً للمعارضة وسلطت الأضواء عليه بشكل ملفت للنظر .

منطلق هذه الاستراتيجية الروسية :

1- تمزيق الشعب الشيشاني واختلاف ولاءاته مما يسهل التدخل الروسي لإسقاط داوديف .

2- تحييد شعوب شمال القوقاز على اعتبار أن ما يجري هناك مسألة داخلية وليس نزاعاً روسياً شيشانياً .

3- استخدام المعارضة قناعاً للقوات الروسية العسكرية التي ستهاجم الدولة في المرحلة اللاحقة بعد فشلها المتكرر مع دعمهم بالسلاح الروسي الذي اعترفت به روسيا بعد إنكار سابق وبعد تحقق أهدافها بتعطيل المطارات لمنع أي مساعدات خارجية سواء أكانت من دول البلطيق التي توالي إلى حدٍ ما داوديف للمواقف المشرفة له حينما كان حاكماً عسكرياً لها حيث رفض أوامر القمع ضد هذه الشعوب أو أي مساعدة من الدول الإسلامية الأخرى في الجنوب .

رفض تهديدات يلتسين :

وجه يلتسين تهديدات للأطراف المتنازعة في الشيشان بأنه سيعلن حالة الطوارئ ، ويرسل قوات عسكرية إذا لم تحل الفصائل العسكرية نفسها وتكف عن القتال وتطلق سراح الأسرى خلال 48 ساعة لوضع نهاية لإراقة الدماء وإعلان ما سماه (الشرعية الدستورية) والقانون والسلام في الإقليم الذي وصفه بأنه جزء من روسيا وكان (داوديف) قد قال أنه أسر 60 مقاتلاً من المعارضة وإذا لم تعترف الحكومة الروسية بأنهم روس فسوف يتعرضون للقتل باعتبارهم مرتزقة أو الاعتراف بكونهم روساً ، وسيعاملون كأسرى حرب مع رفض تهديد يلتسين ، وجدد داوديف اتهامه لروسيا بأنها مسؤولة عن تفشي الجريمة في الجمهورية وأنها هي التي تدعم عصابات القتلة وتجار المخدرات وتزودهم بالأسلحة وأن هذه السياسة سوف ترتد على أصحابها ، وأن محاولة إيجاد معارضة داخلية فشلت وتم سحقها ، فضلاً عن فشل مخطط اغتيال داوديف في يوم 23/2/1994 وتجهيز 20 طائرة مدربة عسكرياً بأربعين مقاتل من قوات أمن الدولة الروسية الخاصة التي خطط بأن تقوم بعلميات الكوماندوز وتتلوها فوراً عملية اقتحام الجيش الروسي للدولة ولكنها فشلت .

هل يسقط الروس داوديف ؟

لاشك أن روسيا عسكرياً أقوى من دولة الشيشان عدة وعتاداً ، وهي مرشحة لهزيمته عسكرياً على ضوء ميزان القوة ، ولكن ذلك لن يكون سهلاً بل سيكون وراءه مآسٍ ومشكلات لا حد لها للروس لو جرؤوا على القيام بذلك وسيتحدد التدخل الروسي على ضوء الاعتبارات التالية :

1- مدى موقف كونفدرالية شعوب شمال القوقاز وهل ستقف موقف المتفرج أم ستتدخل لصالح الشيشان ، وهو ما صرح به رئيس الرابطة في جمهورية

(القبرطاي) المجاورة للشيشان ، مما يعني أن في انتظار الروس أفغانستان ثانية بل أشد .
2- هل سيهب الشعب الشيشاني من الجبال لنصرة رئيسه الرمز كما فعل في الهجوم السابق الذي شنته المعارضة على العاصمة مؤخراً وتم دحره بتدخل رجال القبائل وحينها سينتج عن الحرب البرية خسائر جمة للروس وإن كانوا متفوقين عدة وعتاداً .
3- موقف بقية الدول الأخرى بعد الهجوم الروسي على الشيشان وهل تستجيب لنداء داوديف حينما يطلب نصرة (ما يسمى بالشرعية الدولية) أم تذهب نداءاته عبر الريح ، كما ذهبت نداءات (على عزت) في البوسنة ، ثم ما هو موقف هيئة الأمم من تلك الأحداث وهل ستطبق عليها معاييرالتدخل الدولي كما في الصومال وراوندا أم لا يحصل شيء من ذلك وهذا هو المتوقع ، لخوفها وعلى رأسها سكرتيرها العام من قيام كيان إسلامي في تلك المنطقة المهمة .
4- هل ستنفذ باكستان وأفغانستان وعدهما بإرسال المجاهدين للدفاع عن الشيشان عبر البلاد الإسلامية أم لا .
5- النتائج المتوقعة للمواجهة بين روسيا وداوديف ومدى قدرته على ضرب العمق الروسي . كما أن لذوي اليسار من الشيشان في موسكو مكانتهم الاقتصادية فهل سيكون لهم ضغوط على الحكومة الروسية ، وتفاعل تلك العوامل آنفة الذكر سيحدد إلى درجة كبيرة لمن ستكون الغلبة هل ليلتسن أم لداوديف وبخاصة وأن القوة العسكرية وحدها وكما اتسمت حرب القوقاز الأولى ليست كافية لإرغام هذا الشعب على عبودية الروس .

هل يتورط الروس بتصرف أحمق ؟

حينما جاء وزير الدفاع الروسي للحوار مع داوديف صرح قائلاً بغطرسة إن كتيبة مظليين واحدة كافية لاحتلال العاصمة خلال ساعتين ، والحقيقة أن ذلك ادعاء وعنجهية وإلا لماذا أحجموا عن اجتياح الشيشان منذ أعلن استقلالها منذ 3 سنوات وبخاصة وأن الكتيبة الروسية التي دخلت الشيشان لأول مرة بعد الاستقلال كادت تباد لولا تدخل الرئيس الذي أمر خمسين ألف مقاتل شيشاني بعدم الفتك بهم وإبادتهم في أقل من ساعتين ، واكتفى الرئيس بتحميل الطائرة بالكتيبة وإعادتها بعد نزع سلاحها ليصبح غنيمة شرعية للشعب الشيشاني ، فهل يتورط الروس في عملية أخرى مستغلين تفوقهم في العدد والعتاد ، وهذا ماحصل بالفعل كما سنشير إليه فيما بعد .

حقيقة إسلام الشيشان :

الشيشان شعب مسلم يعتز بالإسلام ، وممن ساهم في ساهم في نشر الإسلام بينهم بعض دعاة من الصوفية ولا يخفى ما عليه أولئك الدعاة من الانحرافات العقدية ، ولا شك أن الواجب يدعو إلى بذل جهود متواصلة لتوعية الكثير من إخواننا هناك بعقيدة الإسلام الصحيحة ، وتعريفهم بالإسلام الحق بعيداً عن الغلو في الصالحين والفهم الصوفي للدين وهذا يحتم على كل المخلصين اتخاذ الوسائل التالية :
1- بعث الدعاة الذين يوثق بصحة عقائدهم لبث العقيدة السلفية هناك .
2- اختيار عدد من أبناء هذه البلاد للدراسة في الجامعات الإسلامية الموثوقة حتى لا تقوم بهذه المهمة الطوائف المنحرفة كما هوحاصل اليوم .
3- ترجمة الكتب الإسلامية في التفسير والحديث والعقيدة والأحكام بلغاتهم وإشاعتها فيما بينهم .
4- فتح مراكز إغاثة وتوعية للمسلمين هناك تهتم بالتعليم والتربية والتثقيف والإغاثة .

ما مدى إسلامية داوديف :

حينما سأل الرئيس داوديف عن نصيبه من الإسلام والإيمان رد قائلاً : إن على كل مسلم أن يحفظ إيمانه في صدره وألا يكون هذا الإيمان دعاية وأنا شخصياً لم أقم بأي خطوة مخالفة لأوامر الله تعالى .

وإنه كان لي دعائي الخاص أثناء الطيران وفي أي مهمة حرجة وأضاف قائلاً : إنه حافظ ضمنياً وروحياً على كل تعاليم الإسلام ، وقد قدم التسهيلات للمجندين المسلمين داخل الجيش خلال خدمته وإنه كان يشجع المسلمين على أداء الصلاة خمس مرات ، وكان لا يسمح بأن يزعج المصلين أحد ، وكان المسلمون يلجؤون إليه لإخفاء ما لديهم ، ولم يكن ذلك بالشيء القليل إبان وجود الاتحاد السوفياتي .

أما عن رؤيته باعتباره رئيساً مسلماً حول قيام دولة مسلمة أجاب : إن الله حينما حدد لنا القوانين لكي نعيش بها فإن عدم الاعتراف بها أمر مرفوض وقيام دولة مسلمة يحكمها القرآن أمل أرجو أن يتحقق ولكن المصارحة هنا واجبة فالشعب اليوم غير جاهز لمثل هذه الدولة بسبب ما عاناه من تأثير ضد دينه ونفسيته طوال استعماره ولابد من إعداد جيل مثقف إسلامياً وسيكون قادراً على إجبار أي حكومة على إقامة هذه الدولة ، إن الجيل الكبير وأنا واحد منه يعتبر جيلاً فاسداً ، ونحن مهتمون بإصلاح أنفسنا وتربية الجيل الناشيء ، ويجب عدم إغفال أن الشعب الشيشاني قناعاته تامة بأن طريقه هو الإسلام ، ولقد أفسحنا المجال لتدريس الصغار ، وأسست المدارس لتؤدي رسالتها بجوار المسجد . والشعب مستعد من الناحية الروحية لتقبل الشريعة الإسلامية ، ولكن علينا أن نوفق دائماً بين الوعي والعاطفة ! !

ونتمنى جميعاً ألا يكون ذلك مجرد مناورات سياسية فقط كما هو الحاصل من كثير من زعماء هذا الزمان والله المستعان .

أخر الأحداث :

وبمرسوم رئاسي تم اجتياح الجيش الروسي دولة الشيشان فجر يوم الأحد الموافق 8/7/1415 ودخلوها من ثلاثة محاور ، وقاومهم الشيشان ببسالة وأسروا 47 جندياً واستولوا على العديد من الدبابات وحاملات الجنود وحرقوا بعضها ، وأسقطوا بعض الطائرات وقد اعترف الروس بذلك .

ولقد رفض البرلمان الروسي هذا التدخل ودعا النائب (يوشينكوف) الذي قاد المفاوضات مؤخراً في (جروزني) إلى تظاهرات شعبية وسط موسكو وحذر رئيس الوزراء الروسي السابق (جيدار) من حدوث أفغانستان أخرى في الشيشان داعياً يلتسن إلى التراجع عن استعمال القوة ، وكانت ردود الفعل الغربية على هذا التدخل باردة وعلى استحياء بدعوى أن الأمر شأن داخلي أما العدوان وانتهاك حقوق الإنسان فلا قيمة لها مادام الأمر يخص المسلمين فقد قال وزير خارجية أمريكا : إنه يؤيد التدخل الروسي وهو شأن داخلي أما وزير الخارجية البريطاني فقد قال زيادة عن ذلك : إن وجود الشيشان مستقلةً فيه تهديد للأمن الأوربي ، مع الأمل بتسوية سلمية سريعة ! ولا أستبعد أن الروس قد أخذوا إشارة خضراء من الاجتماعات الأوربية الأخيرة بخصوص هذا الاجتياح .

وما يؤسف له أن ردود الفعل الإسلامية الرسمية كالعادة ربما لا تتجاوز سوى الشجب والاستنكار ، وأضعف الإيمان هو الضغط على روسيا بعدم التدخل في الشيشان والاعتراف بها دولة مستقلة أسوة بغيرها من دول الاتحاد السوفيتي السابق .

وما زالت الأحداث ساخنة تنذر بعواقب وخيمة ولعل مسلمي الشيشان يلقنون الروس دروساً يعيدون بها التاريخ حينما أدبوا الجيش القيصري وأذاقوه سوء العقاب مما ألمحنا إلى شيء منه ، ولعله يكون بإذن الله بادرة هزائم وخسائر وسقوط ذريع لروسيا وتفتتها وانهيار شامل لاقتصادها المتداعي مما تقر به العيون إن شاء الله .

ولعله يتسنى فيما بعد رصد المستجدات للأحداث مما تكون معه العواقب نصراً مؤزراً للمسلمين وهزائم موجعة للعدو ، وما ذلك على الله بعزيز .

المراجع :

1- المسلمون في الاتحاد السوفياتي د/ محمد على البار .
2- سلسلة مقالات شمس الدين طاش عن جهاد الشيشان في مجلة المجتمع بدءاً من العدد 933 .
3- المسلمون في آسيا والبلقان د/ محمد حرب .
4- مقالا د / أحمد الشيشاني الوثائقيان في (الجزيرة) العدد 8106 وفي الرياض العدد 9662 وهما من أحسن ما كتب حول تحليل أحداث الشيشان مؤخراً .
5- المقابلة مع الرئيس جوهر داوديف في مجلة المجتمع العدد 1128 .

(*) سجل الأدب الإسلامي المعاصر جهاد المسلمين في تلك المناطق في (ليالي تركستان) لنجيب الكيلاني و (صقور القوقاز) ترجمة د/ محمد حرب .

معنويات الصليبين المنهارة في الفلبين أمام طرقات المجاهدين المتوالية[*]

التحرير

قام راموس رئيس دولة الفلبين الصليبية مؤخراً بزيارة تشجيعية لجنوده في جبهاتهم القتالية في كل من بلدة كارمين و أليوسان و بانيسيلان في محافظة كوتباتو ، وكان ذلك في طائرة عمودية حلقت قريباً من مواقع جنوده لمحاولة رفع معنوياتهم المنهارة ، وتشجيعاً لهم لمضاعفة حملتهم الشرسة على المسلمين .

وقد بدأت المعركة بين المجاهدين وجنود العدو في محافظة كوتباتو الشمالية منذ أكثر من شهر ، حيث هاجم الجنود الصليبيون مواقع المجاهدين في المحافظة واتسعت المعركة فشملت عدداً من البلدات المجاورة ، ومازالت الحرب مستمرة حتى الآن ، وقد مضى عليها أكثر من شهر وقتل خلالها أكثر من مائة جندي من جنود قوات راموس المسلحة وأصيب عدد كثير منهم ، ودمر بعض دباباتهم وسياراتهم المصفحة ، واستولى المجاهدون على كثير من معداتهم الحربية ، وانهارت معنويات الجنود الصليبيين ، وكان النصارى المستوطنون يشجعونهم ويلحون عليهم في مواصلة الهجوم على المجاهدين الذين احتلوا منذ أكثر من شهر ثلاثاً من القرى التي استوطن فيها النصارى ، ولم يتحرك الجنود النصارى بسبب معنوياتهم المنهارة ، لذا كانت تلك الزيارة لهم في مواقعهم أملاً في رفع معنوياتهم المحطمة وتشجيعاً لهم على حرب المجاهدين ، الذين مازالو ولله الحمد ثابتون في خنادقهم ، وقد تمركز بعضهم في القرى الثلاث التي استولوا عليها ، وهم على استعداد للقيام بهجوم مضاد وينتظرون الإشارة فقط من القيادة ، وسوف تندلع نيران المعركة قريباً لأن العدو يعزز جبهاته والمجاهدون يعززون مواقعهم أيضاً .

الأنشطة الجهادية المتقطعة والمتفرقة مستمرة :

أما أنشطة المجاهدين العملية المتقطعة والمتفرقة في المحافظات الأخرى فهى مستمرة وفيما يلي بعض الأمثلة لهذه الأنشطة :

مدينة كوتباتو :

من الوسائل التي يستخدمها المجاهدون للحصول على السلاح الاستيلاء على سلاح العدو ، وقد تمكنت الفرقة الخاصة المكلفة بذلك من انتزاع بعض أسلحة جنود العدو كما حصل في سرانجاني ، وفي قرية مكابارا بمحافظة كوتباتو الشمالية .

محافظة زامبوانجا الجنوبية :
ألقى المجاهدون قنبلة يدوية على مجموعة من الجنود الصليبيين أثناء شربهم الخمرفي إحدى الحانات ، وقتل ثلاثة منهم في الحال وأصيب خمسة بجروح .
محافظة ماجيندانو :
وقعت دورية الميلشيات النصرانية في كمين نصبه المجاهدون في إحدى القرى في هذه المحافظة ولقي ستة من النصارى مصرعهم وأصيب ثلاثة منهم وتم الإستيلاء على أسلحة المقتولين .
محافظة كوتباتو الجنوبية :
وقع ثلاثة من عملاء راموس في كمين نصبه المجاهدون في بلدية سورالا وقتل العملاء كلهم واستولى المجاهدون على مسدساتهم وأجهزتهم الاستخباراتية .
محافظة كوتباتوا الشمالية :
يستمر تبادل إطلاق النار بين المجاهدين وبين جنود العدو في الجبهات القتالية في مدينة كارمين ، وقد قتل وجرح الكثير منهم في مدينة كارمين وفي بلدية اليوسان .
ردود أفعالهم على المجاهدين :
لقد أصدر رئيس أركان القوات المسلحة الفلبينية أوامر صارمة لقوات الحكومة البرية والجوية والبحرية بشن هجوم مكثف على الجماعة الإسلامية في باسيلان للقضاء عليها وتدمير مواقعها ، ويسمي العدو أفراد هذه الجماعة الأصوليين أحياناً و الإرهابيين أحياناً أخرى و القراصنة في بعض الأحيان أو المجرمين ، والسبب في تسميته هؤلاء الإخوة بالأسماء المذكورة أنهم يحافظون على سمتهم الإسلامي ، وأن نساءهم محجبات وأنهم يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ويدافعون عن حقهم المشروع وأعلنوا مقاومتهم للمعتدي المستعمر ، والواقع أنهم مجاهدو في جبهة تحرير مورو الإسلامية في باسيلان تحت إمارة الشيخ / سلامات هاشم ، وهم مسلمون سائرون وفقاً للسنة النبوية .
ولقد دارت معركة عنيفة بين المجاهدين في باسلان وبين جنود العدو وأسفرت عن مقتل عشرة من الجنود الصليبيين ، واستولى المجاهدون على سبع قطع أسلحة فردية من أحسن الأسلحة التي يستخدمها العدو .
كما استولوا على جهاز اتصال لاسلكي ، وتستمر عملية العدو العسكرية لمحاولة القضاء على الجماعة الإسلامية التي يصفها بأوصاف سيئة بسبب تمسكها بدينها ودفاعها عن عقيدتها وشرفها ومطالبتها بحقها المشروع في تقرير المصير .
والمجاهدون يواجهون تلك العملية العسكرية الوحشية بهجمات سريعة وضربات خاطفة لإلحاق الخسائر بجنود العدو والإستيلاء على أسلحتهم في كل من :
مدينة كوتباتو ، ومدينة جينرال سانتوس ، ومحافظة ماجيندالو ، محافظة سرانجاني ...
الأنشطة الدعوية التربوية الجهادية :
يتجمع الناس في قواعد ومعسكرات جبهة تحرير مورو الإسلامية تحت إمارة الشيخ / سلامات هاشم للاشتراك في اللقاءات الدعوية التربوية الجهادية التي تقام وتنظم في هذه القواعد والمعسكرات وكان يحضر هذه اللقاءات آلاف بل عشرات الآلاف من المسلمين شيوخاً وشباباً وللنساء أيضاً لقاءات خاصة في تجمعات دعوية وتربوية لم يسبق لها مثيل في هذه البلاد فالحمد لله .
وبالإضافة إلى هذه الأنشطة الدعوية تنظم أجهزة الجبهة مخيمات وقوافل دعوية في المدن والمراكز ، وفي هذه الأيام بالذات يقام مخيم إسلامي في مدينة داباو وهي كبرى المدن في منطقة مورو ذات الأغلبية الساحقة من سكانها النصارى

المستوطنين ، وبعون الله يعتنق الإسلام عدد كبير من هؤلاء ، وبعض المشتركين في المخيم المذكور من هؤلاءالأخوة الجدد .
نسأل الله لنا ولهم التوفيق والسداد .

(*) هذا الموضوع ملخص من البيانين 56 ، 57 اللذين وردا إلى المجلة من الشيخ محمد أمين من لجنة الإعلام الخارجي لجبهة مورو الإسلامية فجزاه الله خيراً .

مقال

عام الحزن .. عام الفرج

محمد بن عبد الله الأحمد

مدخل :

بعد حادث تفجير الباص في تل أبيب قال كلينتون : أدعو زعماء الشرق الأوسط والعالم إلى إدانة هذا العمل ، والتأكد من أن الفاعلين لن يحصلوا على الملجأ أو الدعم (الخميس 15/5/1415هـ) ، وقال أيضاً : سنحمي السلام ونحارب أعداءه (الأربعاء 21/5/1415هـ) وقال وزير خارجيته : علينا أن نعمل معاً على إقفال كل قنوات التمويل الخارجية العامة والخاصة للإرهاب والانتهاء بذلك من المنظمات الخارجية المرتبطة بالإرهابيين (الثلاثاء 20/5/1415هـ) .

- تداعى إلى فكري وأنا أقرأ الأخبار ثلاثة أحداث مرت برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه في أقل من أربعة أشهر ، كادت تعصف بهم وبالدعوة الإسلامية ، وكانت في نظر المرجفين ومحدودي الرؤية ، أحداث مؤذنة بنهاية دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ؛ وانتصار معسكر قريش ، على معسكر الإيمان .

- مات أبو طالب عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ؛ ثم ماتت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فماذا كان أثر وفاتهما ؟

قال ابن اسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المصائب ، بهلاك خديجة ، وكانت له معيناً في دعوته إلى الإسلام .

وبهُلك عمه أبي طالب ، وكان له عضداً وحرزاً في أمره ، ومَنَعَة وناصراً على قومه ، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الأذى مالم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً [1] وقال ابن كثير : وعندي أن غالب ما روي من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي ... ، وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديد حتى حال دونه أبو بكر الصديق ، وكذلك عزم أبي جهل لعنه الله على أن يطأ على عنقه وهو يصلي فحيل بينه وبين ذلك ، مما أشبه ذلك ، كان بعد وفاة أبي طالب [2] .

نعم لقد فقد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عضده وحاميه من قريش ، فاجترأت عليه ، وزادت في إيذائه ؛ حتى روي عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب [3] .

- وفقد -صلى الله عليه وسلم- أول من آمن به أعني من النساء ، وسلوته وملاذه ، وأم أولاده (خديجة رضي الله عنها) .

روي عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : لقد آمنت بي حين كفر بي الناس ، وصدقتني حين كذبني الناس ، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس ، ورزقني

الله ولدها وحرمني ولد غيرها [4] .

وقال ابن اسحاق : وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه -صلى الله عليه وسلم- ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه ، من ردٍ عليه ، وتكذيبٍ له ، فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها ؟ إذا رجع إليها ، تثبته وتخفف عليه ، وتصدقه ، وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى [5] .

فعلاً : إنها أحداث تهز الكيان البشري ، وتزلزل الأرض من تحت أقدام الضعفاء ، أما من قوي إيمانه بالله ويقينه بوعده ونصره ، فلا تزيده هذه الأحداث إلا تصميماً وعزماً على مواصلة الطريق .

- خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من مكة بعد أن أحس أنها لم تعد بيئة صالحة للدعوة خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام وإلى أن يكونوا أنصاره وحماته ؛ وكان ذلك بعد وفاة خديجة بقليل فماذا كان جوابهم ؟

لقد قابلوا الرسول -صلى الله عليه وسلم- أسوأ مقابلة ، وردوا عليه أقبح ردٍ ، وعاملوه بما لم تعامله به قريش .

لقد رفضوا الداعي -صلى الله عليه وسلم- والدعوة ، ورجع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه ، وفراق دينه ، حتى إنه لم يدخل مكة إلا بجوار المطعم بن عدي .

إذاً ما العمل ؟ ذهب السند الداخلي ؛ الذي كان يمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالراحة والطمأنينة ، والمشاركة والمواساة ، وهلك المدافع أمام قومه ، الذي كان يوفر له مساحة يتحرك فيها لدعوة الناس وإبلاغ رسالة الله .

وسُدَ أقرب منفذ للدعوة يمكن أن تنتقل إليه ، وتنطلق منه ... هل تنتهي الدعوة ؟ هل يقف الداعية ؟ هل كانت هذه الأحداث إيذاناً بانتصار الكفر ؟ لا وكلا .

بل كانت علامة قرب انتصار الرسول -صلى الله عليه وسلم- ودعوته ، وفتح أبواب أكبر ، وآفاق أوسع ﴿ فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا ﴾ [الشرح : 5] قد ضاقت مكة بالدعوة ، ورفضت الطائف استقبالها ، وأخذت بعض القبائل التي تأتي في الموسم تساوم عليها .

لقد ضاقت الأرض ، ففتحت السماء ، لم تتأخر البشارة بهذا النصر كثيراً ففي ذي القعدة من السنة العاشرة ، يسرى برسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى بيت المقدس ، فيؤم هناك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم يعرج به إلى السموات السبع .

يقول المباركفوري في بيان هذه البشارة : الإسراء إنما وقع إلى بيت المقدس لأن اليهود سيعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية لما ارتكبوا من الجرائم التي لم يبق معها مجال لبقائهم على هذا المنصب ، وأن الله سينقل هذا المنصب فعلاً إلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- ؛ ويجمع له مركزي الدعوة الإبراهيمية كليهما .

ولكن كيف تنتقل هذه القيادة ، والرسول يطوف في جبال مكة مطروداً بين الناس ؟ هذا السؤال يكشف الغطاء عن حقيقة أخرى ، وهي أن طوراً من هذه الدعوة الإسلامية قد أوشك إلى النهاية والتمام وسيبدأ طور آخر يختلف عن الأول في مجراه ، ولذلك نرى بعض الآيات تشتمل على إنذار سافر ووعيد شديد إلى المشركين ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها فحق عليها القول ، فدمرناها تدميراً ﴾ [الإسراء : 16] .

وإضافة إلى هذه الآيات آيات أخرى تبين للمسلمين قواعد الحضارة وبنودها ومبادئها التي ينبني عليها مجتمعهم الإسلامي ، كأنهم آووا إلى الأرض وتملكوا فيها أمورهم من جميع النواحي ، وكونوا وحدة متماسكة تدور عليها رحى المجتمع ، ففيها إشارة إلى أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- سيجد ملجأ ومأمناً يستقر فيه

أمره ، ويصير مركزاً لبث دعوته إلى أرجاء الدنيا [6] .
ثم لم يتأخر النصر الموعود ، فبعد ثلاث سنوات فقط ، من تلك الأحداث المحزنة ؛ التي بلغت قمتها بالمؤامرة الدنيئة لاغتيال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند ذلك ولد الفجر وظهرت تباشير النصر ، وانطلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مهاجراً إلى المدينة ليؤسس هناك دولة الإسلام ، ويعلن انتصار الإيمان ، وهزيمة الكفر ، ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [يوسف : 12] . إن أحداث عام الحزن بما فيها من ألم ومرارة ، تغرس في قلوب الأتباع روح التفاؤل والإيمان ، والتطلع إلى غدٍ مشرق ، وقطع العلائق بالخلائق ، والالتجاء إلى رب الأرض والسماء ، والاعتماد عليه وحده .
﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ ولا شك أن في السيرة النبوية سلوى لكل الدعاة حيال ما قد يتعرضون له من مشاق واضطهاد ومضايقات فالحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه .
وأخيراً : ورغم كل المؤامرات المتوالية التي يحبكها أعداء الإسلام ضد الدعوة والدعاة في كثير من البلدان والإساءة إليهم بالاتهامات الباطلة من دعوى الإرهاب والتطرف بمناسبة وبغير مناسبة ، محاولة منهم لإجهاض الدعوة والإساءة للدعاة ، وهيهات أن ينجحوا مادام الدعاة مستمسكين بالوحيين وسائرين على سنة الحبيب -صلى الله عليه وسلم- وليثقوا كل الثقة بنصر الله الذي لا يتأخر عن عباده الصالحين والخسارة والخزي لأعداء الدين ، فإلى الأمام بعزم لا يلين ﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾ اللهم أرزقنا حب نبيك -صلى الله عليه وسلم- وحسن الاقتداء به والفهم عنه .

(1) سيرة ابن هشام : 2/442 ط دار الشكر .
(2) البداية والنهاية : 3/165 ط دار إحياء التراث العربي .
(3) ابن هشام : 2/442 مرسلاً عن عروة بن الزبير .
(4) مسند أحمد : 6/118 والاستيعاب لابن عبد البر : 4/278 279 بهامش الإصابات .
(5) ابن هشام : 1/258 .
(6) الرحيق المختوم : 167 .

الملف الأدبي (نصوص شعرية)

قلق المنطلق

مشتاق شبير حسين

خيولك حيرى اعِتلاها القلق ! تُفتّشُ في الكونِ عنْ مُنْطَلقْ
وترقبُ في لهفةٍ فَارساً غُبارُ جحافِلِهِ لا يُشَقْ
فأسدلْ على الجبنِ سِترَ الوغى وفَجّرْ وراءَ الظلامِ الفلَقْ !
وَسِرْ في مراقي الكمالِ وما الكمالُ لِمَنْ نامَ أو مَنْ فَسَقْ
بوارقُ نصرك أحرقتها ومازلتَ بعدُ تخافُ الغرق ! !
ولم أر مِثلك من سَيّد عتيقٌ ويرضى بأن يُسْترقْ !
وتُهزمُ علماً بفَرِقْ تَسُدْ فما زادنا العلمُ إلا فِرَقْ !
سماؤكَ مِنْ نَصْرِها قَلَمٌ وأرضُكِ مِنْ عصر مَجْدِك رَقْ
يَراعي قتيلٌ يسيلُ دماً تختر فاسْودّ نطعُ الوَرَقْ
تموتُ القصائدُ في مَهْدِها وينعمُ بالعيش مِنيّ الأرقْ
سواءٌ بأشعارِهِ عاشقٌ يَجُرّ القوافي إلى مَنْ عَشِقْ
سواءٌ رهينٌ لأفكارِهِ وأفكارُ شعري تجوبُ الأفقْ

أتتك القصائدُ منقادةً إليكِ معَ الشوقِ عبرَ الطّرُقْ
ألستِ أيا أُمّتِي مُنجِباً ؟ ! ومنجبةُ العِزّ ليستْ تُعَقْ !
عجبتُ ببدر نفاهُ الدّجى وَفَجْرٍ أسِير بسجْنِ الغَسَقْ
وشمس تُقَتّل في مَغْرِب فيزهُو بثوبِ الدّماءِ الشَفَقْ !
هناك وراءَ المدى قوّةٌ ستَزْحَفُ نحو قلاعِ الرّهَقْ
فيرجعُ للكونِ حَقٌ مضى ويحيا بِعِزتِهِ من مُحِقْ
وفي ذاك ما حدثتني الرّؤى وما خان سَمعي ولم يَسترقْ
أتانا بذاك الكِتَابُ هُدَىً وعن ربنا قاله من صَدَقْ
وينطِقُهُ الكونُ إلا الجَمَادُ لو أمّتي اسْتَنْطَقتهُ نَطَقْ !

نصوص شعرية

معالم (! ؟ !)

تركي المالكي

أسرجَ الشوقَ وأقدمْ !
يُتبِعُ البسمةَ بالدمْ !
حين أُعدِم ..
قيل : ما كان سوى نبتة سوءْ
كان فينا يتطهرْ ! !
أخرِجوهُ من فضاءات حشوناها ..
بنصر .. كالنتوءْ !
ثم قولوا :
كان يغتال الطفولة ..
كان يهذي فيرى أعماقَنا ..
بركانَ سوءْ !
ويرى الأرضَ بأثقال من الإفكِ
تنوءْ ..
وتنوءْ !
هو مجنونٌ ! ومنكرْ !
نحن أقدرْ ! ..
نحن أكبرْ ..
وسنُنصَرْ
يدعمُ الاكبرَ (قيصرْ ! !
....
نقَضَ الموتَ ! فأَحجمْ !
والتقى السهمُ مع النحر ! فتمتمْ !
لحظةً .. فانفجرَ الصمتُ ! ودمدم :
عاش بالطهر ! .. هنيئا ...
كلنا من بعده .. جندُ وُضُوءْ ! !
كلنا من بعده .. جندُ وُضُوء ! !

مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

نقد أدبي

الغموض الشعري

إبراهيم بن منصور التركي

يعتبر النقد الجديد الأدب شكلاً متفرداً قيمته في شكله وحسب ، وهو يغرق لذلك في دراسة شكل الأدب وبنائه دون أن تستوقفه دراسة معانيه ، مكثر هو حتى الانتفاخ في تناول معنى البناء ، لكنه مقل إلى حد الضمور في تناول بناء المعنى .

وقد يبدو الأمران شبيهين أول وهلة ، لكنهما عند التمحيص يفترقان ذلك أن معنى البناء يمكن اكتناهه حتى في الشعر الذي لا يحمل أي معنى ذهني ولا حتى عند قائله ، كالشعر السريالي مثلاً ، بخلاف بناء المعنى فإن تناوله لا يتأتى إلا بعد وجود معنى أولي يُفهم من النص .

ويمكن توضيح الفرق بمقياس الوحدة العضوية ، حيث لا يحكم لها بالوجود أو عليها بالعدم إلا بعد الظفر بمعان شتى من النص يمكن من خلالها الحكمُ بالترابط أو التخلخل ، أما حينما يغدو النص غامضاً مطلسماً يتأبى على التشكل الذهني فلا يمكن فعل ذلك ، وعلى هذا فمقياس الوحدة العضوية يبحث في بناء المعاني من جهة تلاحمها وتماسكها ، وشدة اقتضاء كل وحدة للأخرى ، ولا يمكن أن يحقق الشعر الدرجات العلى من السموق والسمو إلا بتوافر الأمرين معاً : بناء المعنى ومعنى البناء .

على أن هناك من يتذرع لفقدان الدلالة وغياب المعنى بأن ذلك إشارة إلى أن القصيدة تعنى أكثر مما يقوى الكلام على نقله [1] هكذا يقرر أدونيس أو أن الأدب يقوم على حالات الغياب وليس على حالات الحضور [2] ، وهو ما يعني أن الجانب المعمى في النص هو ما يجب علينا أن نبحث عنه في التجربة الأدبية [3] كما يقرر د . عبد الله الغذامي .

هذا الغياب أو التعمية في جانب المعنى هو ما يخشى أن ينزلق إليه الشعر ، وهو ما سينعكس بالضرورة على النقد ، فبالنظر إلى غالب الإبداع والنقد الحداثي كما يعترف أدونيس مؤخراً يبدو تضخم في النتاج الكتابي ، كل يدعي الكتابة الأدبية الفنية ، وكل يدعي النقد والتقويم ، والنتيجة هي فوضى وتخبط في الإنتاج الكلامي يؤديان إلى أن تتساوى النصوص كلها ، وأن يغيب التمييز بين الجيد والرديء ، وبين المتفرد والمبتذل [4] ، إلى هنا يمكن أن يوصلنا التفريط في جنب المعنى ، وإلى هذا يؤدي بنا التحيز ضد المدلول (المعنى) في صف الدال (اللفظ) .

بل قد يطال ضررُ الغموض المظاهر الشعرية الحديثة ، كالتضمين الأسطوري أو التناص (تداخل النصوص) أو حتى الصورة ، في هذه المظاهر يتم اجتذاب الخارج المعاين إلى الداخل الشعري ، استدعاء هو للدلالة الناجزة لتساهم في دفع الحركة الشعرية إلى الأمام ، وفي مثل هذه المظاهر الفنية لا يمكن أن يحكم لأي منها بالجودة وبالأخص التضمين الأسطوري إلا عندما لا يصبح ظاهرة مردها تدخل الشاعر في نصه من خارجه ، وإجبار الأسطورة على الحلول فيه قهراً وعنوة ، بل إن الكلام الشعري هو الذي يستدعيها بعد أن يكون قد هيأ الأديم الذي عليه ستغرس والأبعاد التي معها ستتماهى [5] أي أن تتواشج الدلالة الأسطورية مع المعنى الكلي للقصيدة تشده إليها ويجذبها إليه ، وحينها يمكن الحكم لها بالتواصل والترابط مع البؤرة الدلالية التي تشع منها القصيدة ، وهو ما لن يحدث إلا حينما لا يستعصى النص المؤسطر على الفهم ولا يستغلق فيه المعنى .

ولا يمكن للأسطورة أن تحقق ذلك التواشج في روع المتلقي إلا إذا كانت من صادرات سياقه الثقافي الذي يشكل ذهنيته ، أي أن تتجافى جنوبها عن الاقتراض

المعرفي من سياق ثقافي آخر ، وإلا فهي غموض جديد لا يختلف عن غموض مَنْ يستدني المعاجم والقواميس ليضمن كلماته الجافية قصائده الشعرية ، يجب على الشعر أن يكون نائياً عن أي نتوءات ناشزة تخدش ملاسة السطح الشعري ، وهو ما يفعله استدعاء الآخر الأسطوري في الأنا الشعري .

بيد أن هذا لا يعني رفض الغموض جملة وتفصيلاً ، فقد يكون في الغموض الذي يغيّب ملابسات القصيدة شيء من جمال ، وقد يكون في غياب الغرض الشعري جمال آخر ، كما لا يُرفض الغموض الذي يأتي في النص المفتوح ، ذلك أن العمل الأدبي يتجلى في نفس متلقيه بمقدار ما يكون مفتوحاً ، بحيث يعطي كل قارئ للعمل بعداً يتفق مع مستوى قدراته الثقافية والنفسية [6] حيث النص مفتوح ، ومطلق للخروج ، والقارئ ينتج النص في تفاعل متجاوب ، لا في تقبل استهلاكي [7] ، وهنا الفارق بين النص المغلق والنص المفتوح ، هما كلوحين من زجاج ، يشف الأول عما تحته ويصفه ، تستطيع رؤية باطنه وكشف غوره بلا كثير عناء ، والآخر زجاج عاكس ترى فيه صورتك أنت ، مشاعرك وانفعالاتك، حركاتك وسكناتك ، هو أنت وأنت هو .

ومثل هذا النص لا تتكشف دلالاته من القراءة الأولى للنص ، إنما ينطبق عليه الغموض الذي يدعو إليه عبد القاهر الجرجاني ، الغموض حيث يزيدك الطلب فرحاً بالمعنى ، وأنساً به ، وسروراً بالوقوف عليه [8] ، ذلك أن لو كانت المعاني جميعاً مما لا يحوجك إلى الفكر ولا يحرك من حرصك على طلبه .. لسقط تفاضل السامعين في الفهم والتصور والتبين ، وكان كل من روى الشعر عالماً به ، وكل من حفظه .. ناقداً في تمييز جيده من رديئه [9] .

وغموضه غموض رمزي يستبطن دلالة ما ، وهو ما يُحوج إلى طلعة استكشافية لمقاربة ذاك الأفق الرمزي ، بشرط أن لا ترمز القصيدة إلى ما هو شخصي ، وإنما تتجاوز ذلك إلى الرمز الذي يؤدي وظيفة نفطن إليها ونعترف بها .

يُشَخّص خبرة عامة يتردد صداها من ضمير إلى ضمير في أزمان متطاولة [10] ، إنه ليس في وسع الرمز الشخصي أن ينقل عاماً كونياً ، لأنه لا يرتبط بتقاليد وثقافة وروح مشتركة . بل على العكس يأسر الشاعر الجزئيُ المحدد ويتغلب عليه ، فيعود لا يغني للناس ، وإنما يغني لنفسه وأذنه [11] .

إن مثل هذا الغموض المدروس هو ما يمكن أن تتقبله الأذواق السوية التي تنأى بأوقاتها عن القراءة في كتابات عبثية لا تحمل أي فكرة أو هدف . إن الشعر يجب أن يحافظ على أبرز خصائصه الفنية التي تعتمد على الإيحاء والإيماء والغموض الدال ، مع عدم فقدانه للمعطيات الفكرية التي تكون روحاً خفية تسري بين أوصال النص .

---

(1) زمن الشعر ص 21 دار العودة بيروت 1983م .
(2) الخطيئة والتكفير ص 121 ط/ نادي جدة الأدبي 1405/1985 .
(3) السابق نفس الصفحة .
(4) النص القرآني وآفاق الكتابة ص 92 دار الآداب بيروت 1993 .
(5) كتاب المتاهات والتلاشي في الشعر والنقد ص 181 د محمد لطفي اليوسفي دار سيراس تونس 1992م .
(6) الخطيئة والتكفير د عبد الله الغذامي ص 123 .
(7) السابق ص 63 .
(8) أسرار البلاغة تحقيق : محمود شاكر ص 142 دار المدني جدة 1412/ 1991م .
(9) السابق ص 146 .
(10) الصورة الأدبية ص 183 د مصطفى ناصف دار الأندلس بيروت دون تاريخ .
(11) السابق ص 184 .

مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

نصوص شعرية
الاكتشاف الأخير

د . ظافر بن علي القرني

هي في الحقيقة ، نزهة الشيطان ... مزجت دم الإنسان بالشطّانِ
أقبلت في موج المحيط وإن يكن ... برداً فقلبك ثابت الغليانِ
هو جذوة أعيا المحيط لهيبها ... لهب ولكن ليس كالنيرانِ
من حرها هجر الطيور سماءها ... وتجنبتها أمة الحيتانِ
فتدحرجت في الشط تحرق كل ... من تدنو إليه ويا عذاب الداني
هي لم تفرق بين من عصفت بهم ... فالناس والحيوان كالعيدانِ
ما هكذا شأن الكشوف وشأن ... من يسمو بها بل ذاك شأن الجاني
ما كنت ثمة فاتحاً بل كنت ... ثم مدمراً لعشيرة وكيانِ
أوَ ما قتلت رجالها ونساءها ... وعبثت بالفتيات والغلمان
وكتبت ما فعلت يداك مفاخراً ... وكأنه نصر لكل زمانِ
هذا الذي صدح الأنام باسمه ... ورأوه رمز تطلع وتفانِ
كهل تمرس في العلوم جميعها ... متولياً إرث الكيان الفاني
حتى إذا عبر المحيط بصحبه ... مزج العلوم بخفة الصبيان
همجية لا زال يلحق زخمها ... بالآخرين بأبعد الأوطان
ونتاجها مازال كل رذيلةٍ ... تأتي على الإنسان في الإنسان
أمم يسمون الهوى حرية ... ومهارة ويمجدون الزاني
المفسدون إذا تكشف أمرهم ... عبروا البلاد بفرحةٍ وآمان
والمجرمون إذا دنوا لعدالةٍ ... عدلت إليهم كفة الميزان
ويبررون فعالهم وإذا الذي ... عبثوا به يصغي بكل حنان
فيسرحون كما أتوا بمهابةٍ ... تدعو ذوي الإحسان للطغيانِ
وتزيد من حفظ الأمان مذلةً ... والناس عصياناً علَى العصيانِ
حرية الخوف التي يَحيونها ... فكر يُحار به ذوو الأذهانِ
الكل يرعد من سفاهة طائش ... تأتي على سنواته بثوانِ
والكل يوقن أن كل الأرض إلا ... أرضه في الرعب والتيهانِ
أكذوبة جبلوا على تصديقها ... يتبجحون بها بكل مكان
أو من تعج بلاده في مشكلٍ ... يقوى على ضبط المكان الثانيني

رسالة
عرض حال

فاطمة محمد أديب الصالح

نحن الموقعين أدناه أبناء /1948/ وما بعدها ، أبناء أحلام العودة ، أبناء الثورة والصمود و (الغضب الساطع آتٍ) و (البيت لنا والقدس لنا) .. أبناء (أصبح عندي الآن بندقية) و (أنا صامد ، صامد) .. و (عبس الخطب فابتسم ..) [1] في وصف الفدائي .. نحن العرب في كل ديار عاشت النكبة والنكبات ...

نحن أبناء الدموع والدماء والعرق تحت شمس المخيمّات .. يسلينا المذياع في انتظار العودة فنسمع رسائل الشوق والعبث والبث منّا وإلينا في كل المحطات العربية ، تحاول أن تصل بيننا وقد ذُرِرنا كقبضة من رمل في كل أرض يابسة من

الكرة الصامتة ..
نريد أن نوضح لكم ، بناء على ما سبق ، ولحيثيات أخرى كثيرة تقتضي الحكمة الصمت عنها ، أننا أصبحنا بحاجة إلى تغيير لخلايانا المعجونة بحبّ التضحية والفداء والإباء ، حتى ونحن قاعدون عنها ، وبحاجة إلى غسيل لأدمغتنا العنيدة التي لا تريد أن تفهم (لغة العصر المتمدن الساعي إلى السلام عن طريق الحوار حول الموائد العامرة) .. وبحاجة إلى تغيير لدمائنا التي حقنتموها بغضاً لليهود ، وذلك كله حتى نتقبل فكرة مصافحة يهودي والانحناء له ، ثم تسليمه مستندات ملكية أرضنا وبحرنا وسمائنا ، وليس أمامكم لتخليصنا من ذلك الإرث المتخلف الذي ندمتم عليه ، وتراجعتم عنه بعد أربعين سنة إلا الصبر .. فإذا كان هذا صعباً لأنكم فيما يبدو على عجلة من أمركم ، فثمة حلول أسرع : الخلايا يمكن كيها بالنار فتغدو دون معالم .. الأدمغة يمكن غسلها بالبترول الخام أو المكرر .. الدم يمكن تجديده بزرع قلوب جديدة . والمستورد منها أفضل .. ولكم الشكر .

عنهم

مذهول بن مظلوم آل مصدوم

---

(1) ما بين القوسين عبارات في قصائد مغنّاة ، رددتها الألسنة العربية في تلك الحقبة ، ومن أمثاله : الله أكبر يا بلادي كبّري/ وخذي بناصية المغير ودمري ومنها : يا أهلاً بالمعارك .

مراجعات نقدية

وقفات مع النصوص الأدبية
في العددين (81-82)

محمد حسن بريغش

جمع العددان (81-82) من مجلة البيان عدداً من النصوص الشعرية التي تدور حول موضوع عام يشغل عالمنا الإسلامي كله ، وهو حالة المسلمين والمؤامرات العالمية التي تحاك ضدهم ، وكل نص من هذه النصوص أضاء جانباً من جوانب الموضوع .

والملحوظ أن العددين المذكورين لم يضما غير الشعر ، فلم يكن هناك أثر للقصة أو غيرها من الفنون الأخرى [1] ، وكنت أتمنى أن تعنى المجلة بكل الفنون الأدبية ، وتحرص على تنويع النصوص .

وأول النصوص الشعرية نص وحيد في العدد (81) بعنوان رؤى خارج القيد للشاعر تركي المالكي [2] .

والقصيدة تتردد بين عالمين يحاول الشاعر تصويرهما ، وهما يتجاذبانه بقوة إلى حد الشعور بالقهر والاختناق والتمزق بينهما .

العالم الأول هو الواقع الذي يعيشه المسلمون في شتى بقاع العالم ، عالم يقوده صُنّاع القهر من أعداء الإسلام والإنسانية ، الذين يحيكون المؤامرات باسم الإنسان وحقوقه ، وباسم الدفاع عن الحرية ، والنظام العالمي و ....

ويُلْحظ أن هذا الواقع شكل ثقلاً مخيفاً في القصيدة التي تعكس الهموم التي يعانيها الشاعر ، ولا تلبث أن تنتقل عبر مقاطع القصيدة إلى القارئ .

وعبر الشاعر عن هذا العالم (الواقع) بالقيد ، وخنق الأفكار والأعناق ثم الإحساس بالخوف ، وجوف القبر ، وحالة الحصار ، والجراح ، وأسر التشيّؤ ، ولسع السياط ، وقساوة الجلاد ، وأصوات الأبواق المرعبة ، والظلماء ، والليل ، والأسوار ، والجدب ، والنار ، والإعصار ، والأصنام ، وكل ما أشارت إليه

القصيدة ، بمثل هذه الألفاظ رمزاً لهذ العالم .
والعالم الثاني : هو عالمه الداخلي المكبوت ، عالم المظلومين والمقهورين عالم المؤمنين المحاصرين الذين ينظرون من خلال الشقوق إلى الغد ، الذين يدافعون القهر ، ويحاربون الظلم : بالصبر والثبات واليقين بالنصر ، ويتطلعون إلى الضياء، والخير ، يتطلعون إلى عالم العقيدة ، إلى الآفاق البعيدة الرحبة المليئة بالخير والضياء والأمل ، عبر طريق التضحية والجهاد والعطاء حتى الشهادة أو الانتصار على الأصنام وحملة القيد ، وصناع القهر .
واستطاع الشاعر بشفافية أن يصور هذين العالمين ، وأن يصور صمود المسلم وثباته الذي لا يستسلم ، بل يصبر ويصابر حتى يصل إلى ما وعد الله وما بين الحصار همى على جرحي .. همى ترياقْ ورغم لفائف الظلماء ! ... أبصر أنجماً شقّت ستار الليل
برغم ما يحيطه من مؤامرات ، وما يحس به من اختناق ، كيف لا يحس بذلك وهو يرى عبّاد الصليب وقتلة الأنبياء ، وعبدة الأوثان يلاحقون المسلم في كل مكان، يحددون له ما يحل وما يحرم ، وما يجوز وما لا يجوز ؟ !
لقد تألّهوا باسم النظام ، والإنسانية ، وراحوا يتآمرون على الإسلام والمسلمين في كل بقاع العالم ، وينهبون خيراته ويمنعونه من أن يعبد الله .
القصيدة تصور ذلك عن طريق الإيحاء ، وتصور أيضاً ثبات المسلم على دينه ، ويقينه بالنصر الموعود .

يرف الآن في سمعي صهيل الخيل
وتمتزج الدماء بشوقها والليل ..
يضج منادياً بالويل ..
ورغم الجدب والإعصار تَبْسُقُ بيننا شجّرة
تمد فروعها في الأفق .. منتشرة

إنه الأمل الذي لا يفارق المسلم مهما اشتد البلاء .
القصيدة مجموعة من الصور المتشابكة التي تحكي الواقع المتداخل ، والحيرة التي يعيشها المسلم إزاء ما يرى وما يحدث في شتى ديار الإسلام ، ويبدو ذلك في الألفاظ التي استعملها الشاعر كرموز بنجاح في أكثر الأحايين ، وبدت عليه حالة الاختناق ، وصعوبة الاختيار في أحيان أخرى .
ففي الحالة الأولى نرى أمثال الألفاظ التالية التي ساعدت على رسم الصورة ، ونقل الحالة الشعورية والفكرية بنجاح .
تخنق الأفكار والأعناق أشواق القبر مصباحاً ترياق الأبواق صهيل الخيل الدماء الليل أسوار الجفاف الجدب الإعصار الطيور الهاجرات القيد ، تبسق ..
وفي الحالة الثانية نرى ألفاظاً متعثرة لم تفصح عما يريد الشاعر ، أو لم تتناسب مع الصورة ، فضلاً عن غربتها وبعدها عن اللفظ الشاعري ، أو الدلالة المقصودة مثل :
لفائف الظلماء فاللفائف لا تعكس المعنى المقصود من تكاثف الظلام وشدته وثقله ، بل فيها بعض الرقة والشفافية المتنافرة مع الظلماء .
ورشّت في المدى حزماً من الأضواء الأضواء لا ترش ، الأضواء ترمز إلى العزم والثبات ، والإصرار على النفاذ ، فهي لا ترش وليست حزماً يمكن أن تنثني ويطاح بها .
تعين على غيار الصمت غيار لا تدل من حيث المعنى على التغيير بل على الغيرة ، فأي معنى أراد لها الشاعر ؟ [*]
أسر التشيؤ ما هو التشيؤ ؟ هل يراد بذلك الأشياء الجامدة ، أو التكيف مع

إرادة الآخرين ؟
لا أظن أن هذا الاستعمال يؤدي المعنى المطلوب .
ومع ذلك فالقصيدة لوحة فنية جميلة مؤثرة ، تُبرز قدرة الشاعر على استخدام الصور ، بل استخدامها بطريقة ناجحة ، ومركبة ، وإعطاء الألفاظ بعداً جديداً ، عند وضعها في سياق الصورة على طريقة الرمز ، لتحمل بشكل متآلف معاناة الشاعر إلى قرائه ، فإلى مزيد من التجويد والعطاء .
وفي العدد (82) خمسة نصوص شعرية ، أولها نص بعنوان كائن بلا هوية للشاعر الدكتور صالح الزهراني [3] .
وهذا النص يلتقي مع النص السابق ، وما يليه في الموضوع العام ، ولكنه يركز على شخصية المسلم في هذا العصر الذي غدا كائن بلا هوية نسي تراثه وماضيه ، نسي تاريخه ومنهجه ، وراح يأخذ من هنا وهناك ، ويتربى على موائد الآخرين ، وأفكارهم ، ومنهاجهم ، ويأخذ عاداتهم وأذواقهم حتى نسي صبغته ، ولم يكسب ما يغنيه من الآخرين وأصبح ذليلاً تتناهشه الأمم ، وتلتف الأكلة حوله كما يلتفون على القصعة [4] .
النص لوحة فنية ، اختار الشاعر لها أسلوب التساؤل المتكرر ، والتعجب الحائر لرسم هذه اللوحة ، وتصوير أوضاع المسلمين :
من أي نهر شربت الصمت ؟ من أين عممت هذا الذلّ ؟
من أنت ؟ كيف انحنى فيك هذا الرأس ؟
أو طريقة الاستنكار : كأنه ما أتاك الكون مبتهلاً ...
واستخدام الشاعر أيضاً عدداً من الأسماء والألفاظ كرموز لها دلالتها وإيحاءاتها التاريخية المعروفة التي ترمز للنصر ، والقوة ، والجهاد ، والفتح ، والإباء .... مثل سعد ، البيرق ، الفيلق ، صلاح الدين ، الخيول ، .... العبسي ، ومع تصويره لحال المسلم هذه فإننا نلمح دعوة خفية تستنهضه لرفض الذل ، والنهوض من جديد :
من أنت ؟ أقرأ في كفيك ملحمة موؤودة ، وخيولاً كفنت بطلاً
كأنه ما آتاك الكون مبتهلاً يوماً ، ولا حف بالنجوى ولا احتفلا
وهذه المقطوعة التي استخدمت كل هذه الألوان اللفظية والأسلوبية لتصوير ما يريده الشاعر ، أكثر أثراً في حس القارئ من قصيدة طويلة تخلو من التلوين والصوير ، أو من الإيحاءات والدلالات التاريخية والفكرية .
وهي محاولة جادة للشاعر في أن يرتاد الآفاق الشعرية الناجحة ، ويقدم المزيد من العطاء الجيد مادام يمتلك الحس الشاعري ، والقدرة على التصوير ، والخروج من أسر الرتابة الأسلوبية .
المقطوعة الثابتة بعنوان (الأسماء) للشاعر فيصل بن محمد الحجي [5] وهي لا تعدو أن تكون صياغة لمثلٍ عامي معروف ، أو واقعة اجتماعية مألوفة ، فالناس يطلقون على أبنائهم الأسماءَ ، والألقاب المناسبة وغير المناسبة ، أو المجلوبة ، كل ذلك لأن اختيار الاسم لا يكلف صاحبه مالاً ولا تعباً .
ولو كان وراء الأسماء تبعات لعاش كثير من الناس بلا أسماء ، أو اختاروا أقلها كلفة وعناءً .
وهكذا ينطبق مثل هذا على كثير من الأمور التي تمر في حياة الناس ، فيتباهون بها ويتفاخرون لأنهم لم يدفعوا ثمنها ، ولو سئلوا الثمن لتنازلوا عنها وزهدوا فيها ، وهربوا من تبعاتها ، هذه المقطوعة نوع من النظم لبعض الأفكار الطريفة ، أو الأمثال المعروفة .
أما المقطوعة الثالثة التيه للشاعر محمد عبد القادر الفقي [6] فهي أيضاً تلتقي

مع بقية النصوص في الموضوع العام ، وتتناول جانباً مهماً منه ، هذا الجانب يتصل بالإنسان المسلم كفرد ، والأمة المسلمة كجماعة ، والروح التي سرت في هذه الأمة فتواكلت ، وضعفت وتفرقت ، فأصابها العذاب ، وتشير المقطوعة إلى أن سبب ذلك كله من أنفسنا أولاً :

عشش فينا الخوار وها نحن والرجز إلفان
ونصرخ ... نصرخ : يا من يجيء إلينا بسبع سنابل خضرٍ
يفيض علينا من الماء والزيت

ثم مِنْ تآمر الأعداء ، من يهود ونصارى وأتباعهم ، باسم العلم ، والتقدم والعمران ، والتطور ، والتقنية ، والمساعدات ... الخ .

ويقبل جون بسنبلة في اليسار !
ومُديته ... في اليمين

ولكن العدو لا يستطيع أن يدخل الديار لو لم يجد منا ترحاباً وقبولاً ، أو (قابلية) كما يقول مالك بن نبي رحمه الله [7] :

وتمضي السنون ونحن نقبّل كفيه ، والنعلَ
نلعق ما كان بالأمس عارا !

ويختصر الشاعر السببين في الآية القرآنية التي وضحت ناموس التغيرات في المجتمعات والأمم :

ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا [8]
لفاضت على البعد أنهارُ خير
وصار المواتُ رُبى من زروع وزهر
وأمطرت السّحب سمناً وشهداً

ويوضح المقطع الأخير النتيجة التي صار إليها المسلمون بعدما أعرضوا عن الذكر ، وصموا ، وساروا في طريق الشياطين ، وتركوا سبل المرسلين .

المقطوعة تحكي لنا قصة الواقع الإسلامي ، كيف بدأ ، ولماذا وصل إلى هذه النتيجة عبر صور متتالية ، موحية ، تتعاقب مع مرور الزمن ، وأحداث التاريخ .

وميزات هذا النص الذي آثر الطريقة الحديثة أنه يتسم بالوضوح والبساطة ، مع الحيوية والتدفق ، وحسن اختيار الألفاظ الدالة الموحية التي ترسم بعداً مقصوداً للصورة .

وكذلك فإن الشاعر في تصويره لواقعه الإسلامي كان يعيش في ظلال القرآن الكريم ، يقتبس من أنواره صوراً ، ومعاني ، وألفاظاً فتزداد الصورة وضوحاً ، وتألقاً وجمالاً .

فعلى سبيل المثال نراه منذ البدء يستخدم الألفاظ القرآنية ، أو المستوحاة من بعض الآيات القرآنية : التيه ، الرجز ، النار ، تشوي ، السماوات ، تخر ، تنشق ، سنبلة ، المن والسلوى ...

أما الصور المقتبسة فهي على سبيل المثال والنار تشوي الوجوه ، تكاد السماوات من فوقنا تخر علينا ، وتنشق من تحتنا الأرض ، والموج يطغى ، يا من يجيء إلينا بسبع سنابل خضر ، ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ، ولكنهم ما وعوا الذكر ، ما كان أكثرهم مؤمنين [9] فحل عليهم عذاب مهين ، ولو أنهم صدّقوا المرسلين ، وكانوا جميعاً من المفلحين .

فالمقطوعة نموذج أدبي جميل للنص الذي يعيش في ظلال القرآن، يمنح منه، ويستضيء بأنواره ، ويتفيأ ظلاله فيزداد رسوخاً وقوة وجمالاً ، ولو أن هناك بعض الألفاظ التي تنبو عن الذوق الشاعري ، أو لا تتوافق مع الصورة المبتغاة .

والنص الرابع في العدد (82) تحت عنوان دخان الصمت للشاعر عبد الوهاب

الزميلي [10] ، والنص يتصل ببقية النصوص السابقة في الموضوع العام :
(أوضاع المسلمين ، ومكابدتهم في ظل النظام العالمي الجديد)
وهو يبشر بشاعرية مُجيدة ، تحاول الغوص عن طريق استخدام الصورة والرمز ، وتفتح للقارئ أبواب التأمل والاستمتاع بجمال النص ، وغموضه أحياناً .
والشاعر في هذا النص يتحدث عن حالة القهر والكبت التي يعيشها المسلمون في بقاع الدنيا عن طريق الصورة الموحية ، والألفاظ المختارة التي يود الشاعر أن تشع بين يدي القارئ في عدة اتجاهات ، فالمسلم من خلال الصورة الشعرية أصبح هيكلاً جامداً فارغاً له مظهر دون مضمون ، تختنق داخله المشاعر ، وتموت الأحاسيس ، ويغرق كما أرادوا بالصمت ، وعدم القدرة على أي شيء :

يد النحات تحفر في جماجمنا فماً حراً
ترقش في عظام الصدر ليلاً يقضم الفجرا

بل وتعدى اعتداء المتأمرين إلى الجيل القادم الأطفال رمز الأمل ، وعدة المستقبل .

تسرّب في رؤى الأطفال شهماً يخنق الطهرا

والصورة التي يتظاهرون بها أنهم يدافعون عن الإسلام ، ويعلمون الجيل الدين بعيداً عن كذا .. وكذا .. ولذلك استخدم الشاعر بعض الألفاظ بطريقة تدعوا إلى السخرية من هذا المنطق ، وتوحي بالخداع والغدر (فماً حراً) (شهماً) بهذه الطريقة يصل إلى ما يريد ، يبرز الصورة الحقيقية التي عملوا على إبرازها ، صورة داخلها خواء ، وليل مظلم ، وطهر مخنوق ، وخمر باسم الماء .. وظاهرها براق وشعارات خادعة .
والشاعر يستخدم الرمز عبر صور متعاقبة ، بل تكاد القطعة أن تتحول إلى رموز متتالية (الأحداق ، نقشوا ، الدم ، الحبر ، النحات ، حراً ، ليلاً ، الفجر ، معاطس ، يغوث ، نسراً ... الخ) وهذه مزية واضحة للشاعر في استخدام الصورة والرمز للتعبير عن فكره ومشاعره ، ولكن الرمز قد يؤدي الغرض في جمال القصيدة وعمقها ومنحها أبعاداً جديدة ورؤى طريفة ، ويكون ذلك حين يحاور الرمز قارئه ، ويطاوعه ولو بعد حين في الإفصاح عن بعض مكنوناته أو كلها ، أو حين يضيء للقارئ شيئاً من الفهم ، أو التأويل المقبول والتذوق السائغ ، أما حين يستغلق هذا الرمز على قارئه ، أو يغرق في الإبهام ويحيط العبارة بالبعد والغربة ، حينها يتحول الرمز إلى عتمة تظلل القصيدة ، إلى حد النفور منها أحياناً ، أو عوارض تمنع التواصل بين الشاعر والمتذوق .
وشاعرنا يقف في هذا بين بين ، ففي المقطعين الأولين كان الرمز ناجحاً ، أسهم في تعميق الفكرة ، ولوّن الصورة ولكنه في المقطعين الأخيرين بدأ يغرق في الإبهام الذي تعوده بعض الناس ، لغرض أو أغراض .
ولا نريد لشاعرنا أن يماثل هذه الصورة ، ولو بطريقة غير واعية ، لأنه ولا شك يجب أن يمنح القارئ بعض مكنونات عقله وفكره ، وأن يظل قارئه موصولاً به عبر طريق الفهم والتذوق ، ولو كان ذلك من خلال برقيات قصيرة .
والنص الأخير (أنواء) للشاعر محمد البراهيم [11] لوحة فنية جميلة ، تلتقي مع النصوص السابقة في الموضوع العام ، ولكنه يضيء جانباً آخر من الموضوع ، وهو جانب الذين تخلوا عن مجتمعاتهم الإسلامية خدمة للآخرين ، ففتحوا لأعداء هذه الأمة أبواباً ومداخل ليعبثوا بمقدراتها ، ما كانوا ليستطيعوا الوصول إليها لولا تطوع هؤلاء لخدمتهم .
لقد استطاع أعداء الإسلام الوصول إلى عقولنا وأفكارنا ، وأذواقنا ليغرسوا فيها الأفكار الدخيلة باسم العلم ، والتطور والتقدم ، والمدنية ، و ...

لقد أعطيناهم قيادنا حين تركنا لهم قيادة التربية ، فربوا الأجيال على النفور من الدين ، وحب الدنيا ، والشغف بالمطامع والحرص على الدنيا إلى درجة العبادة، والإعجاب بالأعداء ، وتقليدهم بطريقة مخيفة ، حتى صار في أمتنا من يحمل أفكارهم وأضاليلهم ، وعاداتهم ، وأذواقهم ، وبات هؤلاء يدافعون عنهم وينفّذون ما يريدون .

أشار الشاعر إلى هذا من خلال رموزه التاريخية ، وسرده للأحداث : يمضي عام ويجيء عام ، وتظل رعاة الأزلام تزرع عذراً ، في عيني غدنا الأحلام ..

وأصبح الطوسي (محمد بن الحسن الطوسي) الذي والى التتار وكان مستشار هولاكو ، ودليله لاحتلال بغداد وقتل أهلها ، وتخريب مكتباتها ، أصبح هذا رمزاً لكل من يفعل هذا على مدار الأزمان ، فالطوسي أصبح له مئات الأسماء والألوان ، وأصبح لديه مدرسة كاملة من الأعوان ، وليس لقب (الغازي) الذي أعطى لأتاتورك عند محاربته للإسلام وإلغاء الخلافة ، وإعدام مئات العلماء إلا صورة من صور الطوسي ، وهناك عبرة من الأسماء والأعوان .

المقطوعة على قصرها وبساطتها ، ووضوحها تحكي لنا قصة عالمنا الإسلامي الذي وقع فريسة للأعداء بسبب الذين يوطئون خيل التتر ، ويستدعون حجر الأطهار .

لقد استخدم الشاعر أحداث التاريخ ، فأخذ منها بعض الرموز ، وأشار إلى بعض الأحداث التي تضيء الفكرة ، وتوحي بدلالات أرادها الشاعر لتساعده على رسم الصورة ، وإضاءة الواقع الذي نعيشه ، لنفتش عن الطوسي فينا ، ونتعرف إلى منابع الخراب ، والقصيدة جيدة ، والرموز تخدم الصورة وتبشر بعطاء جيد إن شاء الله .

---

(1) أورد الملف الأدبي في العدد (82) تعقيباً على قراءة سابقة لصاحب المقال انظر الصفحات 50- 55 ، ومقالاً عن (مأزق النقد في الفكر الحداثي ، الصفحات 94- 103 .
(2) البيان العدد (81) جمادى الأولى 1415هـ اكتوبر نوفمبر 1994م الصفحات 57- 59 .
(3) البيان (82) جمادى الآخرة 1415هـ نوفمبر 1994م الصفحات 44 ، 45 .
(4) مصداقاً لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها إلى أخر الحديث .
(5) البيان (82) صفحة 46 .
(6) البيان (82) الصفحات 47- 49 .
(7) انظر كتاب شروط النهضة لمالك بن نبي .
(8) إشارة إلى الآية القرآنية] ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون [[الأعراف : 96] .
(9) ترددت هذه الآية ، أو هذه العبارة من الآية في سورة الشعراء في الآيات 8 ، 67 ، 103 ، 121 ، 139 ، 158 ، 174 ، 190 ، وكان تكرارها تعقيباً على ما حصل للأقوام التي كفرت بأنعم الله ، وصدت عن دعوة الأنبياء واختارت الضلال فنزل العذاب وحينها يجيء التعقيب] وما كان أكثرهم مؤمنين [.
(10) البيان (82) الصفحات 56 ، 57 .
(11) البيان (82) صفحة 58 .
(*) الكلمة تصحَّفت في الطباعة إلى غيار في العدد (81) والأصل غبار وقد علق عليها الناقد من خلال اللفظة المصحّفة البيان .

في دائرة الضوء

الفكر الإسلامي والمستقبل

د . محمد عز الدين توفيق

ليس الهدف من هذا العرض هو مناقشة موقف الفكر الإسلامي من الدراسات

المستقبلية ، فهذا جزء من الموضوع ، ولكن هدف العرض هو مناقشة موقف الفكر الإسلامي إزاء المستقبل وعلم المستقبل ؟ .

وبعبارة أخرى فالموضوع هو إشراك الفكر الإسلامي في الصراع الحضاري عن طريق لفت النظر إلى ضرورة الاهتمام بالتحديات المتوقعة إلى جانب التحديات الحاصلة والواقعة .

والاهتمام بالمستقبل قبل مجيئه ليس أمراً جديداً يميز القرن العشرين ، فقد كان الاهتمام بالمستقبل واستشرافه منذ أن خلق الله آدم عليه السلام ، فإن الله تعالى خلقه يوم خلقه عاقلاً ناطقاً ، ومن صفات العقل قدرته على التحرر من سلطة الحاضر الذي يسجن الجسم في إطاره ، فالإنسان يستطيع أن يتحرر بعقله من حاضره ، فيغوص في الماضي متذكراً أحداثه أو يحلق في المستقبل متخيلاً وقائعه ، ولقد استجاب آدم لوسوسة الشيطان وأكل من الشجرة والله أعلم بناء على تفكير مستقبلي ، فقد وعده إن أكل منها أن يخلد في الجنة ، وكان هذا أول تفكير مستقبلي مارسه الإنسان لكنه لم يكن في موضعه ، لأنه أغفل الشرط الأساس ليكون التفكير سليماً وهو كفاية المعطيات وسلامتها وصحة مصادرها ، وإذا كانت دراسة المستقبل قبل مجيئه قديمة قدم الإنسان فما الذي يميز عصرنا عن غيره ؟ والجواب أن الجديد في عصرنا هو أن دراسة المستقبل أصبحت علماً قائماً بذاته ، له موضوعه ومناهجه وإطاره العام .

استشراف المستقبل تعامل مع سنن الله في الخلق :

استشراف المستقبل لإعداد ما يكافئ تحدياته من صميم الإسلام ، وقد قص علينا القرآن الكريم قصة الرؤيا التي رآها عزيز مصر وفسرها يوسف عليه السلام تفسيراً تضمن التخطيط لخمس عشرة سنة مقبلة ، ورغم أن الدراسات المستقبلية لا تنبثق عن تعبير لرؤى وأحلام ولا تنطلق من حدس وحديث نفس ولكن هذا المثال يصلح الاستناد إليه في بيان موقف الإسلام من الاهتمام بالمستقبل ، ويسجل للإسلام سبقه إلى إبطال الطرق غير العلمية التي كان الأفراد والدول يلجؤون إليها لمعرفة المستقبل ، وتدور كلها حول الشعوذة وقراءة الطالع والاستعانة بالعرافين والكهنة .

لقد ضحى الإسلام بذلك الجزء الضئيل الذي يكون فيه هؤلاء الكهنة والعرافين على حق وهدف ؛ لأنه ضئيل ولا يتميز من بين كذب كثير ، ولم يبق من سبيل بعد أن حرم الإسلام إتيان العرافين وتصديقهم بما يقولون ، إلا الدراسة العلمية التجريبية أو الميدانية فهذه الدنيا قائمة على سنن ، منها ما يسير به الكون ومنها ما يسير به التاريخ ، سنن في الطبيعة وسنن في المجتمع ، والذي يتعرف إلى هذه السنن يستطيع أن يتنبأ بالنتائج إذا وجدت أسبابها دون أن يكون ذلك علماً بالغيب أو مزاحمة لله في علمه ، فالله الذي أذن للإنسان أن يتعرف على الكون وعلى نفسه هو الذي أذن له أن يتعرف على حركته ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ، وتبقى الفروق ثابتة بين علم الله المحيط وعلم الإنسان المحدود ، بين علم الله المطلق وعلم الإنسان النسبي .

ولا يعكر على هذا أن يقال : إن المستقبل يعلمه الله ، وإن كثيراً من التنبؤات تضل وتفشل فيما تنبأت به ، فالكلام الآن ليس عن دقة هذه التنبؤات أو عدم دقتها ولكن الكلام عن مشروعية الدراسة المستقبلية أو عدم مشروعيتها .

وإذا علمنا أن التاريخ في هذه السنوات الأخيرة يسير بسرعة كبيرة والكل يستعد للدخول إلى القرن الواحد والعشرين دخولاً راسخاً يحفظ له حقوقه ومصالحه ، وأن الشغل الشاغل للدول المتقدمة هو المستقبل ، لأن الحاضر حصيلة دراسات تمت في الماضي وتجني تفاصيلها الآن .

إذا علمنا ذلك وعلمنا أن الإسلام يأبى على أمته أن تكون بدون موقع في هذا التدافع الحضاري علمنا أن الاهتمام بالمستقبل بهذه الطريقة الجديدة من باب الأخذ بالأسباب ، ومدافعة القدر بالقدر .

إن قيام الحضارات وسقوطها وتقدم الأمم وتخلفها والنصر والهزيمة ، والقوة والضعف كل ذلك خاضع لسنة الله ومشيئته مبثوثة في الوحي وفي الواقع ، والبحث عنها في عصر كلّ شيء فيه يسير بعلم من صميم الإسلام .

طبيعة الواقع الراهن للأمة الإسلامية وخصوصياته :

حين وقعت الحروب الصليبية الأولى التي استغرقت حوالي مئتي عام (1096-1291م) ، كان المسلمون قد انحرفوا عن الإسلام الصحيح ببدع ومعاص ، ولكن الإسلام ذاته لم يكن في نفوسهم موضع نقاش ، لا بوصفه عقيدة ، ولا بوصه نظام حياة ، وحتى عندما انهزموا أمام الصليبيين والتتار لم يكن أثر الهزيمة هو الشك في الإسلام والتطلع إلى دين الغزاة وفكرهم وتقاليدهم وقوانينهم ، ولم يقع تفضيل ذلك على الإسلام وبعبارة أخرى لم تتزعزع الثقة في كمال الإسلام وأفضليته على غيره ، وكان الرضى بالإسلام أمراً مستقلاً عن هزيمة عسكرية مؤقتة سرعان ما اجتمعت للمسلمين الشروط المادية لإزالة آثارها .

أما الواقع الراهن للعالم الإسلامي فيتميز بأن هذه المسلمات تعرضت للاهتزاز، وهذه أهم ميزة لموجة الانحراف الراهنة فلم تتم تنحية الإسلام من الواقع فقط بل ومن الفكر أيضاً ، وأصبحت اللادينية أو العلمانية فكراً وممارسة .

حاضر الأمة الإسلامية متشابه :

إذا وعينا هذه الميزة البارزة لموجة البعد الحالية وأدركنا الفرق بين الصورة الحالية للانحراف عن الإسلام والصور المتقدمة سنرى أن حاضر العالم الإسلامي من هذه الناحية متشابه ، فمشكلته واحدة ، تتمثل في كونه يعيش مرحلة ما بعد الاستعمار .

لقد اشتغل الغرب لفترة قصيرة بمناوشة جانبية عندما كان الغرب الرأسمالي في مواجهة الشرق الشيوعي ، ولكن العالم الإسلامي ظل طيلة هذه الفترة مصنفاً ضمن العالم الثالث الذي تتقاسم المعسكرات النفوذ فيه ، واليوم وبعد انهيار المعسكر الشيوعي وتوحد الحضارة الغربية بوجهيها عاد الصراع إلى أهله وعادت المواجهة كما كانت بين نموذجين في الحياة : نموذج قائم على الإيمان بالله والاستعداد للقائه ، ونموذج قائم على الكفر بالله وجحود لقائه .

وقد كثر الكلام عن طبيعة النظام الدولي الجديد ، ولكنه ببساطة استفراد للولايات المتحدة بزعامة العالم والهيمنة عليه .

ومهما اختلفنا فلن نختلف حول ثلاث نقاط أساسية هي :

الأولى : أن أمريكا في ظل هذا النظام الجديد تريد أن تكون الدولة الأولى في العالم .

الثانية : أن أمريكا تعتبر نفسها ممثلة لحضارة قائمة بذاتها وليس لنظام سياسي فحسب .

الثالثة : أن العالم العربي والإسلامي يمثلان بالنسبة لأمريكا أول منطقة يجب تطويعها لهذا النظام الجديد ، وذلك لسببين :

أ- خيرات العالم الإسلامي ، فهذا العالم الذي يمتد في وحدة جغرافية من المحيط إلى المحيط يملك ثروة زراعية وحيوانية وبحرية ومعدنية هائلة ، كما يمتلك مقومات التصنيع والتقدم كاملة من أرض وبحار وموانئ ومواقع استراتيجية وعقول وأيدٍ عاملة وأموال وطاقة ومعادن .

ب- ما يملكه هذا العالم من بديل حضاري مستقل ، يستند إلى مرجعية مختلفة

هي الإسلام .
هناك إذن إرادة سياسية لا هوادة فيها لمواجهة أي نظرية دولية مستقلة عن النظرية الأمريكية ، وهذه الإرادة أكدتها كل الأحداث والتحركات السياسية التي عرفها العالم في الفترة الأخيرة ، وإذا أردنا أن نتكلم بوضوح أكثر نستطيع أن نقول بأن ما يراد بالعالم العربي والإسلامي في المستقبل أسوأ من الذي فُعل به في الماضي ويُفعل به في الحاضر .
فالغرب قام في حضارته على القهر والغزو وتسخير الشعوب لخدمة الأقلية البيضاء ، وعندما يتعلق الأمر بالعالم الإسلامي فإن الروح الصليبية لا تفارقه حتى وهو غير متدين .
يلخص الاستاذ (منير شفيق) [*] السياسة الأمريكية الحاضرة والمقبلة في المنطقة العربية والإسلامية في أربع نقاط ذكرها في كتابه (النظام الدولي الجديد وخيار المواجهة) وهي :
1- تشجيع الهجرة المليونية من روسيا وأوروبا الشرقية إلى إسرائيل .
2- تجريد المنطقة من السلاح غير التقليدي والقدرات العلمية والصناعية والتقنية .
3- التحكم في السياسة النفطية وسياسات التنمية بصفة عامة .
4- الحفاظ على التفوق العسكري والتقني لإسرائيل على مجموع الدول الإسلامية .

علاقة النظام الدولي بالمشروع الصهيوني في المرحلة القادمة :

لا يمكن الحديث عن النظام الدولي الجديد دون الحديث عن علاقته بالمشروع الصهيوني في المنطقة العربية والإسلامية ، وقد تميزت أولى ملامح هذا النظام بالتغييرات السياسية التي وقعت في الشرق العربي .
فإذا أخذنا القضية الفلسطينية مثالاً نرى أن مسلسل الأحداث سار في كل مرة في صالح العدو ، فمن فلسطين ولاية من ولايات الدولة العثمانية إلى فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، إلى فلسطين مقسمة في عام 1948م ، إلى هزيمة في عام 1967م وضياع القدس ، إلى اتفاقات كامب ديفيد واعتراف أكبر دولة عربية بإسرائيل والقيام بالخطوات الأولى نحو تطبيع العلاقات ، إلى إخراج المنظمة من لبنان ، إلى اتفاق أوسلو واتفاق القاهرة وخيار غزة/أريحا الذي اعترف فيه رئيس المنظمة بإسرائيل ، وقبل بحكم ذاتي محدود على مساحة صغيرة من أرض فلسطين لا تتجاوز اثنين في المائة من الأراضي المحتلة .
والمرحلة المقبلة هي استكمال المفاوضات لتطبيع العلاقات السياسية بين إسرائيل وبقية الدول المجاورة والمرور بعد ذلك إلى مرحلة العلاقات الدبلوماسية مع سائر دول العرب والمسلمين ومن وراء تلك العلاقات التطبيع الثقافي والسياسي والتجاري .. ، حتى تجهز الثقافة اليهودية والنصرانية على البقية الباقية من الثقافة الإسلامية .

مهمة الفكر الإسلامي إزاء هذا الحاضر ومسؤوليته تجاه المستقبل :

المهمة الثابتة للفكر الإسلامي في هذا العصر وفي غيره هي الدفاع المستمر عن كمال الإسلام وأنه الحق الوحيد بين المذاهب والعقائد حتى يتجدد الرضى به في الأجيال ولا يتعرض هذا الرضى للقطيعة في عصر من العصور ، فينشأ جيل من الأجيال على رفض الإسلام والتنكر له والبحث عن السعادة والكرامة في غيره .
مهمة الفكر الإسلامي الثابتة في كل عصر هي ملاحقة الشبهات والطعون التي تسعى للتشكيك في صلاحية الإسلام للتطبيق وقدرته على القيادة وتحقيقه للسعادة

الدنيوية والأخروية .
وبعبارة أخرى فإن مهمة الفكر الإسلامي تتلخص في الآية الكريمة التي قال الله تعالى فيها : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [المائدة : من الآية 3] .
فالفكر الإسلامي في كل عصر سيستأنف مهمة البلاغ المبين ويقوم على حراسة الجبهة الفكرية من الصراع الحضاري كما يقوم بإظهار دين الله على غيره بالحجة والبرهان .
وفي إظهار هذه المهمة الثابتة للفكر الإسلامي ستبدو مهمته في المرحلة القادمة صعبة وعسيرة ، ذلك أنه سيتصدى لنموذج حضاري على النقيض من النموذج الإسلامي الذي يدافع عنه ، لكنه نموذج يملك كل الوسائل التي تعينه على الانتشار بل وتعينه على الهيمنة رغم إرادة الشعوب .

هكذا ينهض الفكر الإسلامي بالمهمة :

إن مهمة الفكر الإسلامي في المرحلة المقبلة هي مواجهة هذا النموذج القديم الجديد ، وهو نموذج ثقافي أساساً وله وجه اقتصادي وسياسي فكيف ينهض الفكر الإسلامي المعاصر بهذه المهمة ؟ .

أولاً : على مستوى الموضوع :

لابد أن يتخلص الفكر الإسلامي من جميع صور التضييق التي مورست عليه في الموضوع , وجعلته في حس الكثير من المثقفين والطلاب يرادف النقاشات الكلامية والفلسفية لبعض الفرق الإسلامية .
فالفكر الإسلامي في موضوعه رحب واسع يستمد سعته وشموله من شمول الإسلام الذي يتحدث باسمه ومن تعقد الواقع الذي يعالج هذا الفكرُ قضاياه .
مجالات الفكر الإسلامي عديدة منها المجال الفلسفي والمجال العلمي والمجال التاريخي والمجال الحضاري والمجال اللغوي والمجال الأدبي والفني ، والمجال السياسي والاقتصادي والمجال التربوي والدعوي .
ليس بمعنى أن الفكر الإسلامي فلسفة وعلم وتاريخ وأدب ... ولكن الفلسفة والعلم والتاريخ والأدب والاقتصاد وغيرها من اهتماماته ، ونعتقد أن القضايا التالية يجب أن تنال مزيداً من العناية في المرحلة المقبلة حتى يكون الفكر الإسلامي حاضراً في المعركة .
*مسألة الديموقراطية وبأي معنى يمكن قبول هذا المصطلح في المجتمع الإسلامي وهل يمكن أن تأخذ معنى مشتقاً من الشورى في الإسلام إذا علمنا أن الشورى في الإسلام مبدأ عام تتغير الأساليب التي تحققه في المجتمع الإسلامي .
*مسألة حقوق الإنسان ، وما هو التأهيل الإسلامي لهذا المصطلح الذي يتصدر المصطلحات السياسية للنظام الدولي الجديد .
*مشكلة البيئة وقضايا التلوث الجوي والصوتي والمائي والاستخدام السيء للعلم والتقنية .
*نموذج الدولة المدنية أو الدولة الحديثة ، وكيف تنسجم في الدولة صفة الإسلامية وصفة الحداثة .
*التعددية الفكرية والسياسية وبأي معنى يمكن أن تمارس هذه التعددية في المجتمع الإسلامي .
*مفهوم الأصولية والتطرف والمعاني الجاهلة والمغرضة التي تستعمل لها هاتان الكلمتان ، وما هو التطرف الذي نهى عنه الإسلام ، وما هي آثاره السلبية على مستقبل الإسلام في العالم .
*الإعلام والمشكلة التربوية : كيف تقوم التربية الإسلامية بدورها في عالم

مفتوح وفي ظل تواصل ثقافي واقتصادي وإعلامي متشابك .
*قضية المرأة : حقوقها وحريتها في المجتمع والفروق بين أحكام الإسلام الثابتة وبين التقاليد والعادات التي نشأت حول المرأة في المجتمع الإسلامي .
*الفكر الإسلامي في خدمة الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام في العالم غير المسلم والقيام بالحوار الحضاري المطلوب مع الأمم الأخرى .
*التأصيل الإسلامي للعلوم الإنسانية ، ودعم التجارب الحاصلة في الميدان .
* تعميق الدراسات في فقه الموازنات وفقه الأولويات على ضوء الواقع الحاضر مع الاستعانة بمباحث الفقه والأصول وبخاصة القواعد الفقهية والأصولية ، وتطبيق هذه القواعد في مجالات الفكر والتربية .

وعندما نقول إن المرحلة المقبلة تستلزم اهتمام الفكر الإسلامي بهذه القضايا لا نعني أن هذه الموضوعات لم تطرق بعد ، ولكنها تحتاج إلى تعميق واستكمال حتى ترى الأجيال الصاعدة الإسلام بديلاً حضارياً شاملاً ، ثم تتمكن البشرية كلها بعد ذلك من التقاط صورة حقيقية عن الإسلام لا بوصفه أحكاماً فقهية فردية فقط ، بل بوصفه ديناً عالمياً قادراً على تأطير الحياة الإنسانية على الأرض واستلام القيادة من أي نقطة انتهى إليها شعب من الشعوب في رقيه وتقدمه وحضارته .

ثانياً : على مستوى المنهج :

وبالنسبة للمنهج فإن المستقبل يستدعي أن يتخلص الفكر الإسلامي من منهجين تسلطا عليه في المرحلة السابقة فحرفاه عن مهمته الحضارية :

الأول : المنهج الاستشراقي الذي بدأه المستشرقون من غير المسلمين :

ونشأ عليه جمع من تلاميذهم ، وحصيلته التشكيك في الإسلام وفي التاريخ الإسلامي وتعميق نقط الخلاف وتلميع مناطق الضعف في التجربة التاريخية للإسلام وطمس مواطن القوة فيها .

الثاني : المنهج العلماني أو اللاديني بوجهه الليبرالي والاشتراكي :

الذي يستعمل النصوص والوقائع لتمجيد التجربة الليبرالية أو الاشتراكية ولا ينطلق من الإسلام لتنفيذ التجربتين .

بهذا التحرر في الموضوع والمنهج يمكن للفكر الإسلامي أن يدخل في مواجهة المستقبل ويتولى إظهار الدين الحق في جبهة الفكر أو في جبهة الكلمة ، ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ [الصف : 7 ، 8] .

لقد كتب فرانسيس فوكوياما وهو مستشار وزارة الخارجية الأمريكية كتابه نهاية التاريخ مدعياً في هذا الكتاب أنه بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والمعسكر الشرقي لم يبق أمام العالم في المستقبل إلا النموذج الأمريكي ، وتنبأ بأن العالم سيتبع هذا النموذج وتلك نهاية التاريخ ! ! .

والحقيقة أن نهاية التاريخ مقرونة بنهاية الحياة الإنسانية على الأرض ، أما الصراع بين الحق والباطل فهو باق ما بقيت الحياة ، وإذا كان هذا المستشار قد اعتقد أننا قربنا من نهاية التاريخ بعد انهيار المعسكر الشرقي فلأنه لم يدرس البديل الحضاري الذي يملكه العالم الإسلامي ، والذي سيكون النموذج المقابل للنموذج الأمريكي في المرحلة القادمة .

كما كان من قبل نموذجا ثالثاً ... يقف في وجه النموذج الأمريكي والسوفيتي معاً ، وإذا علمنا أن النموذج الأمريكي ليس عنده ما يقدمه للبشرية علمنا أن نهاية التاريخ حقاً هي عودة البشرية إلى النموذج الإسلامي .

إن النموذج الأمريكي لا يملك ما يقدمه أكثر من لبس الجينز ، وتدخين المارلبورو ، وشرب الكوكاكولا ، وأكل الماكدونالد ، ثم الحرية الجنسية ، والإلحاد

والعبث والقلق .

وقد كتب السفير الألماني بالرباط الأستاذ مراد هوفمان كتابه الإسلام كبديل يرد فيه على كتاب فرانسيس فوكوياما ويتحدث عن البديل الإسلامي القادر على تجاوز سلبيات النموذج الأمريكي الذي تسعى أمريكا الآن لتعميمه على العالم ، حتى تكون الحضارة الأمريكية هي حضارة القرن الواحد والعشرين يقول إن هناك بشائر تدل على أن هذا النموذج المبعد والمحارب ستكون له الغلبة في المستقبل ، لكن منطق الأسباب يفرض على الفكر الإسلامي أن ينهض بمهمته في بناء الرضى بالإسلام في نفوس المسلمين وبخاصة في نفوس النخبة المثقفة التي تأثرت بالعلمانية الغربية ، ونمط الحياة الأوربي .

وأمريكا ليست قدراً غالباً ، والله غالب على أمره ، وتستطيع الأمة الإسلامية أن تسير وفق نموذجها الحضاري دون أن تراهن على سقوط أمريكا باعتبارها دولة عظمى .

ولا شك أن الذي يمثل هذا المشروع المستقبلي الذي يُنَظّر له الفكر الإسلامي ويؤصل هو الصحوة الإسلامية المعاصرة ، فهي الممثل الشرعي لهذا المشروع ، ولذلك فإن من أولويات النظام الدولي الجديد : القضاء على هذه الصحوة تحت مسميات مختلفة كمحاربة التطرف ومقاومة الإرهاب وإجهاض جميع المبادرات التي تحاول الاستفادة من التراث النظري للعقل الإسلامي لإخراج التجارب الواقعية ، سواء أكانت في صورة دولة إسلامية حديثة تجربة السودان مثلاً أو في صورة حركات إسلامية شمولية تسعى في أقطارها لإقامة الدين في مختلف مجالات الحياة .

إن الجهود الكبيرة التي يبذلها الغرب لتشويه الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية التي

تمثلها ، والتحريض والضغط الذي تمارسه على الأنظمة للإيقاع بينها وبين هذه الحركات ، هو امتداد للغزو الفكري الذي كانت تمارسه فلول المستشرقين والمبشرين قبل الاستعمار والهدف واحد هو تنحية الإسلام عن قيادة المجتمع ، وعزله عن النخبة والجمهور ، وتكريس التبعية للنموذج الغربي وكأنه قدر لازم ، وقوة غالبة .

ورغم السلبيات التي تظهر أحياناً في ممارسات هذه الحركات فإنها في النهاية تحمل مشروع المستقبل بالنسبة للعالم بعامة والعالم الإسلامي بخاصة وإذا كان الفكر الإسلامي فيه اجتهادات تصحح نفسها باستمرار ، فإن تنزيل هذه الاجتهادات على الواقع يجب أن يعرف نفس التصحيح ، حتى تكون الصحوة الإسلامية في مستوى المسؤولية العالمية التي تتحملها ، وتكون في مستوى الدين الإسلامي الذي تتحدث باسمه وتستند إليه وتعده المرجعية العليا في الفهم والتطبيق .

(*) منير شفيق مفكر فلسطيني هدته رحلته الفكرية لتبني الاتجاه الإسلامي ، وله العديد من الدراسات الفكرية الجيدة منها الرد على أطروحات علمانية .

أنشطة المنتدى

التقرير السنوي لأنشطة المنتدى الإسلامي

يسرنا في هذا العدد تقديم تقرير شامل لأنشطة المنتدى الإسلامي التي تمت بعون الله وتوفيقه ، ثم بتعاونكم وتشجيعكم ، سائلين الله تعالى أن يبارك في جهودكم، وأن يجعلنا وإياكم من المتعاونين على البر والتقوى ، ويسعدنا أن نستفيد من آرائكم واقتراحاتكم ، كما أننا لا نستغنى عن مؤازرتكم ووقوفكم معنا .

أولاً : الأنشطة التعليمية :

1- المدارس النظامية : ويقصد بها المدارس التي تلتزم بتدريس العلوم العصرية المقررة في البلد الذي تقام فيه ، بالإضافة إلى تدريس علوم شرعية معدة من قبل المنتدى ، وبهذا يجمع الطالب بين الثقافتين ويستطيع المواصلة في الجامعات الحكومية في أي تخصص يريد .

وقد بلغ إجمالي عدد المدارس (13) مدرسة ويستفيد منها (3724) طالباً ، وهي موزعة كالتالي :

بريطانيا : مدرسة واحدة تشاد : مدرسة واحدة
غانا : تسع مدارس جنوب شرق أسيا : مدرسة واحدة
كينيا : مدرسة واحدة

2- المدارس الشرعية : يهتم المنتدى الإسلامي اهتماماً بالغاً بإنشاء وتشغيل المدارس الشرعية لنشر العلوم الشرعية ورفع الجهل عن أبناء المسلمين ، وقد بلغ عدد هذه المدارس (37) مدرسة يستفيد منها (7793) طالباً ، موزعة كالتالي :

بريطانيا : مدرستان , السنغال : مدرسة واحدة
كينيا : 27 مدرسة , تشاد : مدرسة واحدة
الصومال : مدرسة واحدة , بنجلاديش : مدرسة واحدة
أوغندا : ثلاث مدارس , جنوب شرق آسيا : مدرسة واحدة

3- معاهد إعداد الدعاة : الاهتمام بتنمية الطاقات وإعداد الدعاة له أهمية كبيرة جداً في إنجاح العمل الدعوي ، ولهذا سعى المنتدى الإسلامي لافتتاح ثلاثة معاهد لإعداد الدعاة ، واكتملت كتابة المناهج العلمية الخاصة بها ، وهذه المعاهد هي :

(أ) معهد إعداد الدعاة في مالي : وهو جاهز للتشغيل خلال الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

(ب) معهد إعداد الدعاة في غانا : وقد جهزت المباني وسوف يبدأ العمل في مستهل العام القادم إن شاء تعالى .

(ج) معهد إعداد الدعاة في أثيوبيا : وقد تم بناء وتجهيز المعهد ، وسوف يبدأ العمل به في مستهل العام القادم إن شاء الله تعالى .

4- توزيع المناهج الدراسية : تفتقر كثير من المدارس الإسلامية في إفريقيا إلى المناهج الدراسية بسبب ضعف إمكاناتها المادية ، وهذا يؤدي في الغالب إلى ضعف المستوى العلمي للطلاب ، ولهذا سعى المنتدى في توزيع المناهج الدراسية على بعض هذه المدارس ، حيث بلغ عدد الكتب الموزعة (53ر000كتاب) موزعة كالتالي :

غانا 40.000 كتاباً دراسياً
كينيا 12.000كتاباً دراسياً
مالي 1.000 كتاباً دراسياً

ثانياً : برامج تعيين الدعاة والأئمة والمدرسين :

قام المنتدى الإسلامي - بفضل الله تعالى - بتعيين : ثمانمائة واثنين وثلاثين داعية ومدرس ، يقومون بالتعليم والدعوة والإمامة في عدد غير قليل من الدول الإفريقية والآسيوية ، مثل : (كينيا ، وأوغندا ، والصومال ، وغانا وبوركينا فاسو ، ومالي ، وساحل العاج ، وأثيوبيا ، والسودان ، وتشاد ، والنيجر ونيجيريا ، وبنين ، والسنغال ، وبنجلاديش ، وباكستان ، والفلبين واندونيسيا .. وغيرها) ؛ ليكون ذلك - إن شاء الله - إسهاماً في نشر منهج أهل السنة والجماعة ، ويخضع تعيين الداعية لشروط عدة من أهمها :

- سلامة المنهج معتقداً وسلوكاً .

- الكفاية العلمية والشرعية .
- الكفاية الدعوية .

وقد وضعت برامج دعوية يومية لكل داعية يسير بناء عليها ، وتتم متابعة الداعية بالوسائل التالية :

- يقوم الداعية بإعداد تقرير شهري يرسل إلى مكتب المنتدى الإسلامي .
- تم تعيين مشرف على الدعاة في كل منطقة لمتابعتهم عن قرب .
- يقوم مسؤولو اللجان العاملة في المنتدى بزيارات دورية إلى مناطق الدعاة حيث يتم مناقشتهم وتوجيههم وإرشادهم .

كما يحرص المنتدى الإسلامي على رفع المستوي العلمي والدعوي لهؤلاء الدعاة عن طريق توفير المكتبات والكتب ، وإقامة الدورات الشرعية ، والملتقيات الدعوية ، وغيرها .

ثالثاً : الأنشطة التربوية والدعوية : وتشمل الآتي :

1- الدورات الشرعية : تهدف هذه الدورات إلى تصحيح وترشيد العمل الإسلامي ، ورفع المستوى العلمي والوعي الدعوي لدى الدعاة وتأصيل ذلك تأصيلاً شرعياً مبنياً على الكتاب والسنة الصحيحة ومنهج السلف الصالح .

وقد قام المنتدى الإسلامي بتنظيم العديد من الدورات الشرعية ، بلغ عددها - ولله الحمد - سبعاً وثلاثين دورة ، استفاد منها (2 . 064) داعية شارك فيها نخبة من المتخصصين والأساتذة وطلبة العلم ، وقدمت فيها : دروس في العقيدة ومنهج السلف الصالح ، وعلوم القرآن ، وعلوم الحديث ، والفقه وأصوله ، والسيرة النبوية ، والتاريخ الإسلامي ، وحاضر العالم الإسلامي ، والآداب الإسلامية ، وكانت الدورات موزعة كالتالي :

لندن : سبع دورات — السودان : دورتان
بنجلاديش : خمس دورات (منها 4 دورات كل دورة 4 أشهر) .
كينيا : دورتان — تشاد : دورتان
مالي : دورتان — نيجيريا : ثلاث دورات
الصومال : دورتان . — أثيوبيا : ثلاث دورات
جنوب شرق أسيا : ثمان دورات — أوغندا : دورة واحدة

2- الملتقيات الدعوية : تهدف هذه الملتقيات إلى معالجة مشكلات الدعوة والدعاة ، وتنمية القدرات الدعوية والعلمية لدى المشاركين .

وقد تم - بحمد الله تعالى - عقد : (22) ملتقى دعوياً ، استفاد منها (4ر156) داعية في عدد من الدول ، موزعة كالتالي :

- بريطانيا : (17) ملتقى دعوياً ، كان آخرها : الملتقى السابع عشر في مدينة ليستريومي 22 ، 23 صفر 1415 هـ ، شارك فيه 300 شخص .
- غانا : ملتقيان دعويان ، كان آخرها لمدة ثمانية أيام من 12 إلى 20 ربيع الأول 1415هـ في مدينة نياكروم ، شارك فيه 161 داعية من غانا والدول المجاورة لها .
- كينيا : ملتقيان دعويان ، كان آخرهما لمدة عشرة أيام من 1 إلى 10 ربيع الأول 1415هـ في مدينة ممباسا ، شارك فيه 150 داعية من كينيا والدول المجاورة لها .
- السنغال : ملتقى واحداً استمر عشرة أيام من 28 صفر إلى 8 ربيع الأول 1415هـ ، شارك فيه 120 داعية من السنغال والدول المجاورة لها .

3- الحلقات والدروس العلمية : يواظب المنتدى الإسلامي منذ إنشائه على عقد دروس أو محاضرات - يوم السبت من كل اسبوع - في مركزه الرئيسي في

لندن .
بالإضافة إلى أن كل داعية تابع للمنتدى الإسلامي يكلف بالتعليم ويعقد الدروس العلمية الأسبوعية في المساجد في مختلف العلوم الشرعية .
كما يقوم الدعاة التابعون للمنتدى الإسلامي في مختلف الدول بإلقاء الخطب والمحاضرات في شتى المعارف الإسلامية في المدارس والمعاهد ، والمساجد، والتجمعات العامة .
4- للمخيمات الشبابية التربوية : يحرص المنتدى الإسلامي على إقامة المخيمات الشبابية والطلابية لدورها الكبير في إيجاد المحاضن التربوية التي تربي الشباب ، وتنشر الوعي الإسلامي في صفوفهم وقد بلغ عدد المعسكرات والمخيمات الطلابية التي تم إقامتها : (14) مخيماً استفاد منها : (1 . 385) شاباً ، وهي موزعة كالتالي :
- كينيا : 3 مخيمات ، آخرها في الفترة من 15 إلى 21 ربيع الأول 1415هـ ، شارك فيه 75 طالباً .
- مالي : 3 مخيمات ، اثنان منها كانا في شهر ربيع الأول 1415 هـ ، شارك فيهما 205 شاباً .
- جامبيا : مخيم واحد ، أقيم في مدينة بانجول لمدة خمسة أيام ، وشارك فيه 100 شاب .
- جنوب شرق آسيا : أربعة مخيمات ، استفاد منها 240 شاباً .
- أثيوبيا : مخيم واحد ، أقيم في أديس أبابا في الفترة من 29 ربيع الأول إلى 7 ربيع الثاني 1415 هـ ، استفاد منه 120 شاباً .
- السودان : مخيمان ، استفاد منهما 300 شاب .
5- دورات الإدارة المدرسية وطرق التدريس : تهدف هذه الدورات إلى تنظيم وترشيد العمل التعليمي الإسلامي للارتقاء به نحو الأفضل ، حيث أقيمت دورة واحدة فقط في دولة غانا لمدة أسبوع واحد من 21 إلى 28 ربيع الأول 1415 هـ ، شارك فيها مائة معلم وإداري ، ولنجاح التجربة وأهميتها ينوي المنتدى الإسلامي بعون الله تعالى تكرار التجربة في دول أخرى .

رابعاً : تحفيظ القرآن الكريم :

يهتم المنتدى الإسلامي اهتماماً خاصاً بكتاب الله عز وجل حفظاً وتلاوة ودراسة ، ويسعى لتربية النشء المسلم على آدابه وتوجيهاته ، وذلك من خلال إقامة خلوات وحلقات لتحفيظ القرآن الكريم ، ويبلغ عدد الحلقات التي يشرف عليها المنتدى (437) حلقة ، ويستفيد منها (12ر933) طالباً وطالبة .
وتتوزع هذه الحلقات في عدد كبير من الدول ، منها : كينيا ، وأوغندا ، وتشاد، ومالي ، والسنغال ، والصومال ، وأثيوبيا ، وغانا ، وباكستان ، وبنجلاديش ، وغيرها .
وقد أعد المنتدى الإسلامي خطة متكاملة للارتقاء بمستوى الحلقات إدارياً وتربوياً ، ووضع منهجاً علمياً رديفاً : في التوحيد ، والفقه ، والتفسير ، والسيرة ، والآداب الإسلامية .

خامساً : القوافل الدعوية :

المناطق الإسلامية مناطق كبيرة ، مترامية الأطراف عسيرة المسالك والدروب، وقد انتشر الإسلام - بحمد الله تعالى - في مختلف الأدغال والقرى النائية ، ولكن غلب الجهل على عامة المسلمين في المدن الرئيسة فضلاً عن القرى والهجر النائية ، مَّما جعل البدع والشركيات والسحر والكهانة تنتشر في أوساط المسلمين انتشاراً واسعاً ، ومثل هؤلاء الجهلة هم البيئة الخصبة غالباً للنشاط الكنسي حيث أقيمت

المراكز التنصيرية في القرى النائية ، واستقر المنصرون للعمل بين المسلمين .
ولصعوبة الانتقال من منطقة إلى أخرى ، ولوعورة الطرق وخطورتها في بعض الأحيان ، كلف المنتدى الإسلامي دعاته بإعداد القوافل التي تنطلق إلى مختلف الأماكن التي ينتشر فيها المسلمون وغيرهم من الوثنيين والنصارى ، وذلك حرصا على الوصول إلى الأماكن البعيدة للدعوة لنشر العقيدة الصحيحة ، ومحاربة البدع والخرافات .
ومن أجل أن يكون تأثير القافلة على المستوى الأمثل ، رأى المنتدى الإسلامي أن يرسل طبيباً مع كل قافلة لعلاج المرضى وتوزيع الأدوية ، كما تحمل القافلة أحياناً بعض الملابس والمواد الغذائية ، وبعض الكتب باللغات المحلية ، وذلك من أجل تأليف الناس وتقريبهم إلى الإسلام .
وقد تم - بفضل الله تعالى - تنفيذ (34) قافلة دعوية ، موزعة كالتالي :
كينيا : خمس قوافل نيجيريا : ست قوافل
الصومال : خمس قوافل أوغندا : ثلاث قوافل
السودان : ثلاث قوافل أثيوبيا : قافلتان
تشاد : قافلتان بنجلاديش : خمس قوافل
جنوب شرق آسيا : ثلاث قوافل
هذا بالإضافة إلى جولات دعوية من دعاة المنتدى في دول أخرى مثل : مالي، والسنغال ، وأثمرت هذه القوافل - بحمد الله تعالى - نتائج إيجابية مشجعة للمزيد من العطاء ، حيث أقبل بعض الناس على العلم ، وبدؤوا يتعرفون على العقيدة الصحيحة ، والعبادات السليمة ، إضافة إلى الوثنيين الذين يسلمون بين أيدي هؤلاء الدعاة ، ومن أمثلة ذلك إسلام أكثر من ستين وثنياً في قرية واحدة من قرى مالي ، فلله الحمد والمنة .

سادساً : بناء المساجد :

قام المنتدى الإسلامي - بحمد الله تعالى - ببناء (181) مسجداً وجامعاً ، في أماكن ودول مختلفة ، موزعة كالتالي :
كينيا : 17 الجمهوريات الإسلامية : 5
مالي : 6 نيجيريا : 1
غانا : 19 أوغندا : 8
الصومال : 9 أثيوبيا : 6
السنغال : 2 باكستان : 40
السودان : 5 بنجلاديش : 29
تشاد : 9 جنوب شرق آسيا : 17
أريتريا : 1 الهند : 2
توجو : 2
ويحرص المنتدى الإسلامي على إحياء رسالة المسجد ، وتنشيطه دعوياً بتعيين داعيه مؤهل في كل مسجد يقوم ببنائه ، ليتولى إمامة المسلمين ، وإقامة الدروس الشرعية ، ووعظ الناس ، وتدريس كتاب الله عز وجل .

سابعاً : المكتبات العامة ومكتبة طالب العلم :

العلم الشرعي مطلب أساس من المطالب التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية فهو الذي ينير الطريق أمامه ، فلا يدعو الناس إلا بمقتضى الحجة والبرهان .
وللكتاب الإسلامي دور كبير في نشر الوعي العلمي ونشر العقيدة الإسلامية الصحيحة بين أبناء المسلمين ، ونتيجة لندرة الكتاب الإسلامي وقلة المراجع العلمية في كثير من دول العالم ، سعى المنتدى الإسلامي إلى توفير الكتب والمراجع العلمية

بعدة وسائل ، منها :

أ- المكتبات العامة : وهي على نوعين : مكتبة كبيرة : توضع في المدن الرئيسة ، وفي أماكن المجتمعات الكبيرة للدعاة . مكتبة صغيرة : توضع في المساجد والمدارس .

وتم انتقاء الكتب بناء على الاحتياجات الأساسية للدعاة في كثير من البلاد ، وقد بلغ عدد المكتبات التي تم تجهيزها حتى الآن (34) مكتبة موزعة كالتالي :

كينيا : مكتبة واحدة كبيرة ، وخمس مكتبات صغيرة .
مالي : مكتبة واحدة كبيرة .
غانا : مكتبة واحدة كبيرة .
الصومال : ثلاث مكتبات كبيرة ، ومكتبة واحدة صغيرة .
السنغال : مكتبة واحدة كبيرة وأخرى صغيرة .
بريطانيا : مكتبة واحدة كبيرة .
بنجلاديش : مكتبتان كبيرتان .
جنوب شرق آسيا : إحدى عشرة مكتبة كبيرة ، ومكتبتان صغيرتان .
السودان : مكتبة واحدة كبيرة .
تشاد : مكتبة واحدة كبيرة ، وأخرى صغيرة .
أوغندا : مكتبة واحدة كبيرة .

ب - مكتبة طالب العلم : يحرص المنتدى الإسلامي على تنمية قدرات الدعاة العلمية ، ورفع مستوياتهم الشرعية بوسائل متعددة ، منها إعداد مكتبة صغيرة لكل داعية من دعاة المنتدى الإسلامي ، ولكي يكون الاختيار أكثر دقة وأبلغ فائدة وضعت قائمتان :

الأولى : للدعاة الجامعيين .   الثانية : للدعاة غير الجامعيين .

وقد بلغ عدد مكتبات طلاب العلم التي وزعها المنتدى الإسلامي 536 مكتبة موزعة كالتالي :

الصومال : 20 مكتبة   كينيا : 105 مكتبة
تشاد : 150 مكتبة   غانا : 121 مكتبة
جنوب شرق آسيا : 30 مكتبة مالي : 35 مكتبة
بنجلاديش : 30 مكتبة

ج - توزيع الكتاب والشريط الإسلاميين : يسعى المنتدى الإسلامي لإيصال الكتاب والشريط الإسلاميين إلى مختلف أبناء المسلمين ، مساهمة منه في نشر منهاج أهل السنة والجماعة ورفع المستوى الشرعي بين المسلمين ، وقد بلغ عدد المصاحف التي تم توزيعها حتى الآن أكثر من (19 . 000) مصحف ، والكتب أكثر من (115 . 000) كتاب ، والأشرطة أكثر من (39 . 000) شريط .

ثامناً : مطبوعات المنتدى الإسلامي :

(1) مجلة البيان : بدأ المنتدى الإسلامي بإصدار هذه المجلة في عام 1406هـ ، لتوزع في مختلف أنحاء العالم ، وقد اعتمد المنتدى (4 . 500) اشتراكاً شهرياً مجانياً في عدد من الدول ، إسهاماً منه في إيصال كلمة الحق والهدى إلى الدعاة وطلاب العلم الذين لا يستطيعون شراء المجلة ، بالإضافة إلى عدد كبير من الجمعيات الإسلامية والجامعات والمعاهد .

(2) نشرة المنار (MANAR AL) : وهي نشرة تصدر باللغة الإنجليزية ، وتوزع في جميع أنحاء بريطانيا ، كما توزع في أمريكا ، وسوف توزع قريباً في الدول الإفريقية الناطقة بالإنجليزية - إنشاء الله - وتتناول هذه النشرة بعض البحوث المبسطة في الدين الإسلامي .

(3) كتاب المنتدى : يقوم المنتدى الإسلامي بطباعة الكتب والرسائل المفيدة مع الحرص على حسن الاختيار والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة ومن هذه الإصدارات :

- جهاد المسلمين في أفغانستان يمر بأخطر مراحله .
- التجديد في الإسلام .
- الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة .
- أيعيد التاريخ نفسه .
- رؤية إسلامية للاستشراق .
- الهزيمة النفسية عند المسلمين على ضوء الكتاب والسنة .
- خواطر في الدعوة (جزءان) .
- منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين .
- اعتقاد أهل السنة في الصحابة .
- على من تعرض الصور ؟ (مأساة المسلمين في البوسنة) .
- علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام .
- البداوة والحضارة (نصوص مختارة من مقدمة ابن خلدون) .
- الثوابت والمغيرات في مسيرة العمل الإسلامي .
- الدعوة إلى الله بين الواجب والمحظور .
- فن التعامل مع الناس .
- فاعتبروا يا أولي الأبصار .
- مداخل الشيطان على الصالحين .
- تجربة المنتدى الإسلامي في العمل الدعوي .
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. أصوله وضوابطه .

(4) طباعة الكتب المترجمة : قام المنتدى الإسلامي بطباعة عدد من الكتب الإسلامية المترجمة إلى عدد من اللغات ، وتم توزيعها في عدد من دول العالم ، ومنها :

- الأصول الثلاثة (اللغة الفرنسية) .
- الأصول الثلاثة (بلغة الهوسا) .
- الخطوط العريضة (بلغة الهوسا) .
- رفع الملام عن الأئمة الأعلام (باللغة البنغالية) .
- توجيهات إسلامية لجميل زينو (باللغة البنغالية) .
- عقيدة أهل السنة والجماعة لجميل زينو (باللغة البنغالية) .
- مبادئ الإسلام (باللغة البنغالية) .
- تحفة الأخيار للشيخ عبد العزيز بن باز (باللغة الأندونيسية) .
- إلى ابنتي للشيخ على الطنطاوي (باللغة الأندونيسية) .
- القضاء والقدر للشيخ ابن باز (باللغة الأندونيسية) .
- وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة للشيخ ابن باز (باللغة الإنجليزية)
- وجوب أداء صلاة الجماعة للشيخ ابن باز (باللغة الفرنسية) .

بالإضافة إلى أن المنتدى الإسلامي يسعى لتوفير الكتاب الإسلامي باللغات المختلفة من الأسواق ويوزعها في دول العالم ، وقد بلغ عدد الكتب الإسلامية المترجمة باللغات الأجنبية التي تم توزيعها (377 . 500) كتاباً .

تاسعاً : النشاط الإغاثي ، والصحي ، والاجتماعي :

يقدم المنتدى الإسلامي أنشطة اجتماعية وصحية متعددة ، كما يساهم في إغاثة المنكوبين وإعانة الملهوفين في عدد من دول العالم الإسلامي ، ومن البرامج التي تم

تنفيذها :

1 - المراكز الإغاثية : قام المنتدى الإسلامي بإنشاء (28) مركزاً إغاثياً استفاد منها أكثر من (15 . 000) شخص يومياً موزعة كالتالي :

- كينيا : (23) مركزاً لإغاثة اللاجئين الصوماليين ، استمرت لمدة سنتين تقريباً ، استفاد منها (11 . 700) شخص يومياً .. وقد أغلق (21) مركزاً منها لنزوح اللاجئين إلى مواقع أخرى .
- بنجلاديش : يوجد مركز إغاثي استمر لمدة سنتين ، ثم تم إغلاقه أخيراً .
- الصومال : يوجد مركزان إغاثيان ، يستفيد منهما (500) شخص يومياً .
- أثيوبيا : يوجد مركزان إغاثيان ، يستفيد منهما (500) شخص يومياً .

2- الأعمال الإغاثية العامة : وتشمل توزيع المواد الغذائية واللباس والكساء والدواء ، وقد قام المنتدى الإسلامي بأعمال إغاثية متعددة في الصومال ، وفي بنجلاديش ، للمتضررين بسبب الفيضانات والأعاصير ، والبورماويين بسبب الحروب ، وجيبوتي ومالي ، وغيرها .

3- برنامج إفطار صائم : اعتاد المنتدى الإسلامي على تنفيذ البرنامج سنوياً في عدد من دول العالم ، وقد بلغ عدد الوجبات التي تم توزيعها في رمضان 1413 هـ (849 . 168) وجبة شملت (18) دولة ، وأما في رمضان 1414 هـ ، فقد بلغ عدد الوجبات (326 . 677) وجبة شملت 16 دولة ، وفي الغالب يصاحب الإفطار دروس وعظية وتربوية وتعليمية يقوم بها دعاة المنتدى الإسلامي مما يكون له أثر مبارك إن شاء الله تعالى .

4- برنامج الأضاحي : يقوم المغتدى الإسلامي سنوياً بذبح الأضاحي في عدد من دول العالم ، وذلك لتوزيعها على فقراء المسلمين ، وقد بلغ عدد الأضاحي حتى عام 1414 هـ أكثر من (19 . 000) أضحية ، بالإضافة إلى ذبح العقائق والكفارات والنذور لتوزيعها على المحتاجين .

5- كفالة الأيتام : يكفل المنتدى الإسلامي (591) يتيماً كفالة تامة تشمل الغذاء والكساء والتعليم .

6- حفر الآبار : نتيجة لموسم الجفاف والقحط الذي ساد القارة الإفريقية ، وحاجة المسلمين إلى مصادر المياه النقية ، عمل المنتدى الإسلامي - ولازال يعمل - على سد حاجة المسلمين في هذه المناطق وغيرها بالمياه الصالحة للشرب ، وقد حفر المنتدى الإسلامي حتى الآن (105) آبار في عدد من البلدان الإفريقية والآسيوية ، موزعة كالتالي :

غانا : 25 بئراً باكستان : 12 بئراً
أثيوبيا : 8 آبار أوغندا : بئران
الصومال : 10 آبار مالي : بئران
بنجلاديش : 18 بئراً كينيا : 5 آبار
بنين : 6 آبار توجو : 6 آبار
جنوب شرق آسيا : 5 آبار تشاد : 4 آبار

بالإضافة إلى بئر ارتوازي في كينيا وبئر ارتوازي يعمل بالطاقة الشمسية في تشاد .

7- مشروع مكافحة العمى : أقام مركز السند الإسلامي بالباكستان بإشراف المنتدى الإسلامي وتنظيمه ، تسعة مخيمات طبية لعلاج أمراض العيون ، وإجراء العمليات الجراحية لإزالة الماء الأبيض ، استفاد منها (41 . 000) مريض ، وهي موزعة كالتالي :

السنغال : مخيم واحد استفاد منه حوالي 4 . 000 مريض

السودان : مخيمان استفاد منهما 9 . 000 مريض
تشاد : مخيمان استفاد منهما 1 . 000 مريض
جنوب شرق آسيا : 3 مخيمات استفاد منهما 14 . 000 مريض
مالي : مخيم واحد استفاد منه حوالي 4 . 000 مريض

8- مراكز الخياطة : تهدف هذه المراكز لإعانة نساء المسلمين وتدريبهن على مهنة تنفعهن في حياتهم ، للاستغناء على سؤال الناس ، بالإضافة إلى الاستفادة من هذه المراكز في التعليم والإرشاد ، وبلغ عدد هذه المراكز : أربعة مراكز ، موزعة في كل من : كينيا ، مالي ، السودان ، وجنوب شرق آسيا .

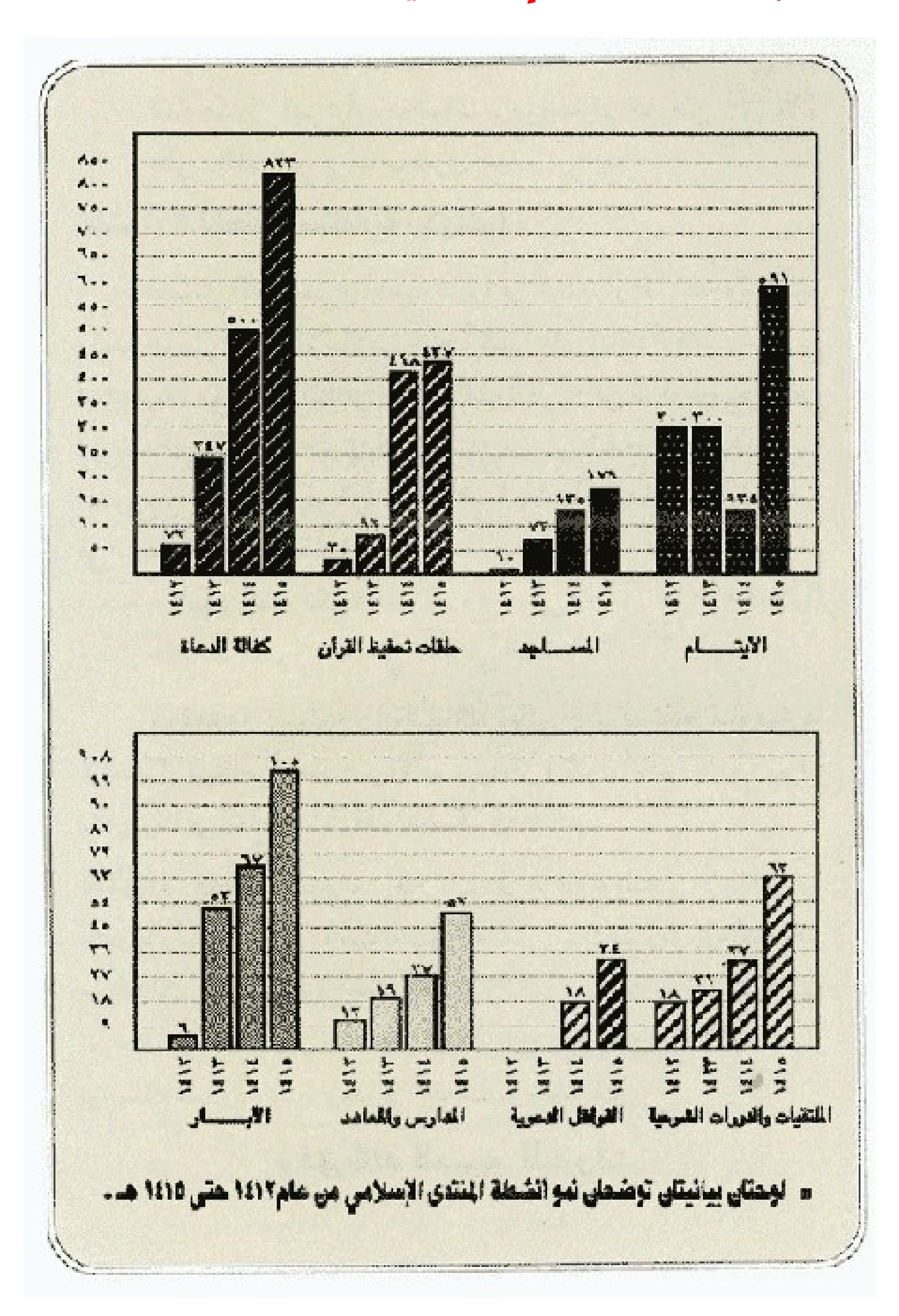
عاشراً : الأنشطة الاستثمارية (الأوقاف) :

للعمل الاستثماري أهمية كبيرة في استمرار الأنشطة وثباتها ، ولهذا حرص المنتدى الإسلامي حرصاً كبيراً على إيجاد أوقاف ومشاريع استثمارية ، وقد تمكن المنتدى - بحمد الله تعالى - من شراء مجمع سكني في شمال بريطانيا يحتوي على ست وعشرين شقة ، ويبلغ عائد هذا المشروع (155 . 000 دولار) في السنة ، كما تيسر ولله الحمد شراء أرض في مدينة ليدز في بريطانيا قرب الجامعة ، وسوف يقام عليها 100 وحدة سكنية طلابية ، وتقدر تكلفة هذا المشروع حوالي (1 . 120 . 000دولاراً) ويقدر عائد هذا المشروع بحوالي 13% في السنة .

وبإتمام هذا المشروع - إن شاء الله تعالى - سوف تفتح قناة مباركة لاستمرار كثير من أعمال البر والخير ، ونحن واثقون أنكم معنا ، وسوف تشاركوننا في ، إنجاح هذا الوقف بدعمكم ودعائكم .

وأخيراً : قارئنا الكريم بعد إطلاعك على ما قام به المنتدى الإسلامي من مشاريع وأنشطة ، والتي قامت بفضل الله تعالى ثم بدعم ومؤازرة أهل الخير من أمثالك ، نفيدك بأن في جعبتنا الكثير والكثير من المشاريع والأنشطة التي نعزم تقديمها للمسلمين المحتاجين ، ولكن لن نتمكن من ذلك إلا باستمرار تواصلك معنا ودعائك ، وهذا ما نأمله منك ، ونظنه بك .

وفق الله الجميع للخيرات



لوحتان بيانيتان توضحان نمو أنشطة المنتدى الإسلامي من عام ١٤١٢ حتى ١٤١٥ هـ.

الورقة الأخيرة

رسالة القلم

حسن قطامش

جال بخاطري أن أنظر فيما أوحى به قلم الرافعي من بديع الأسلوب وجميل الحكم ، فرددت بصري فيه ثم توقفت عند هذه الكلمات : إن الحقائق الكبرى كالإيمان والجمال والحب والخير والحق ستبقى محتاجة إلى كتابة جديدة من أذهان جديدة . تفكرت فيها ، ثم أرجعت البصر في عرض هذه الحقائق اليوم وما نصيبها من واقعنا ، فإذا هي بين أيدي مرتزقة أكالين يدنسونها بمزاعم أوهام التقدم والرقي، وبين حابسين لها في نفوس ملؤها الخوف والتردد من صوغها في قالب الصدق

والموضوعية ولازالت الحاجة قائمة لسبرغور تلك الحقائق والتي تملأ حياة الإنسان .. في نفسه وأهله ويومه وغده .

إن الإنسان بحاجة إلى أقلام صادقة توجهها عقول ناضجة تدرك حاجاته النفسية والاجتماعية والثقافية والتربوية ، أقلام تحمل همّ هذه الأمة التي تتجاوز التيارات التائهة في دروب الهوى ، أقلام تعرف للكلمة حقها وقوتها وسطوتها وتعرف لها مكانها وزمانها .

وكم تآذت مسامعنا من أقلام ارتكست في رديء التصورات ، وسيء المعاني، مما أضعف في نفوس الكثير من الناس الأدب ، وسار ركب الأقلام الآسنة يستقى من مداد الرذيلة ، ويلون الصفحات بزائف الكلم ، ويقدمون الإيمان والجمال والحب والخير والحق وغيرها من تلكم المعاني الكبار في ثوب زور لُطخ بآسن الأفكار وزبالة الأذهان .. فأي ضحك على الإنسان .

إن هذه الأقلام العرجاء مهما بدا من حُسن مظهرها واستمراريتها لن تعدم أصحاب نظر ثاقب يكشفون مرضها وعللها المزمنة .

أما بعض الأقلام الصالحة المنكسرة فلابد لها يوماً أن يستقيم عودها ، وذلك حين تتحرر من وهم الخوف والتردد ، لتصبح أذهاناً جديدة لصياغة حقائقنا الكبيرة.

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين